الحجاب

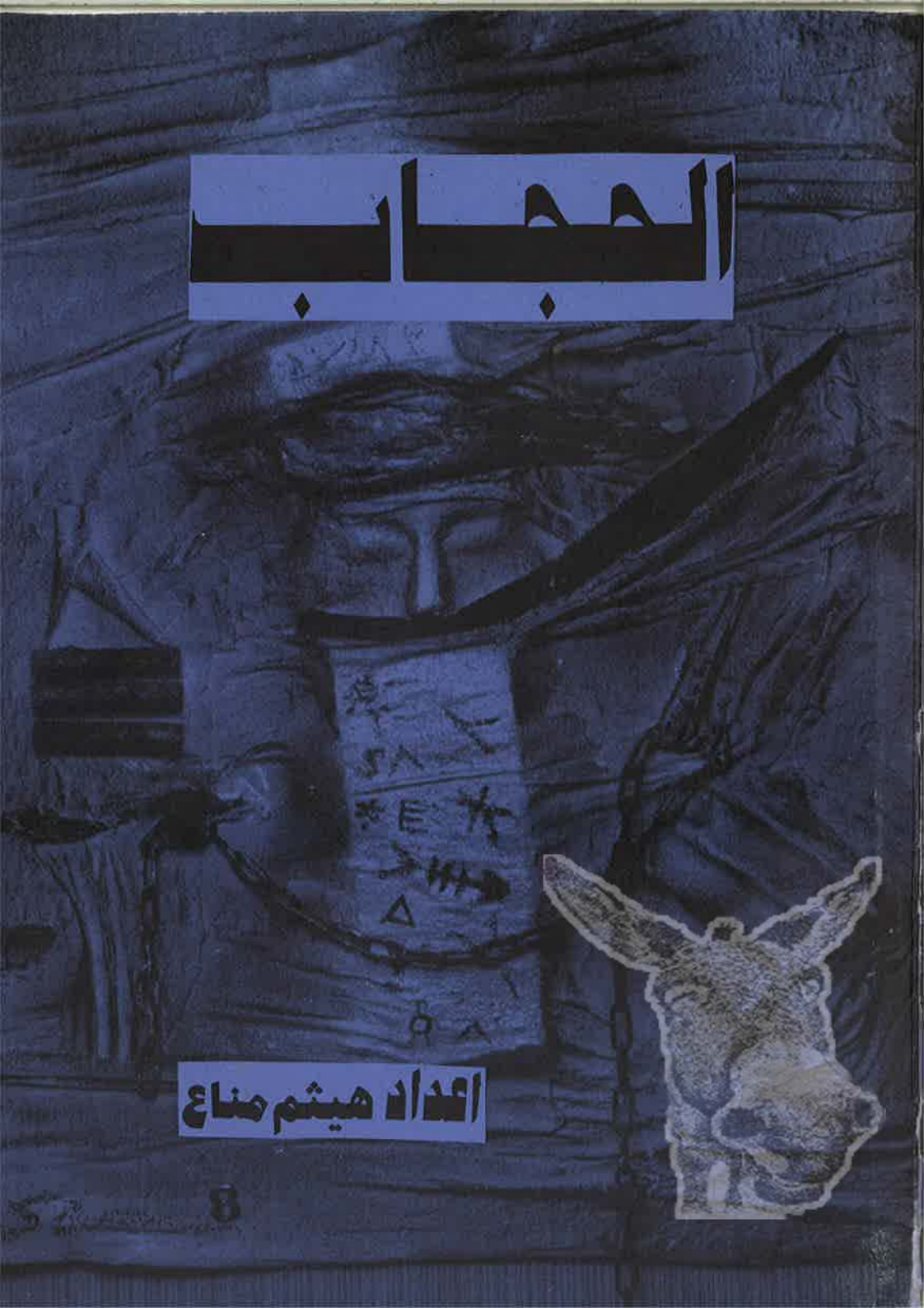

اعداد هيثم مناع

103/1990

الحجاب

إعداد هيثم منّاع

منشورات الجمل 1990

صدر لهيثم منّاع

- المرأة في الاسلام	دار الحداثة - بيروت 1980
- المجتمع العربي الاسلامي من محمد الى علي	منشورات الرازي - باريس 1986
- انتاج الانسان شرقي المتوسط	دار النضال - بيروت 1986
العصبة، القبيلة، الدولة	
- المرأة	منشورات الجمل - المانيا 1988

يصدر قريبا

- عالم النوم	دار الحوار - اللاذقية 1990
- جدل التنوير	دار الطليعة - بيروت 1990
- تحديات التنوير	منشورات الجمل - المانيا 1990

الحجاب إعداد هيثم منّاع
تصميم الغلاف **سمر الهامس**
© منشورات الجمل 1990

Haytham MANNA
Al-Hidjab
© Al-Kamel Verlag 1990
C/O Der andere Buchladen
Glasstr.80
5000 Köln 30 . West Germany

قال هل في السفور نفـع يرجّى
إنما في الحجاب شـلّ لشـــعب
كيف يسمو إلى الحضارة شعب
ليس يأتي شعـب جلائل مالـم.

قلت خير من الحجاب السفور
وخفـاء وفـي السفـور ظهـور
منه نصـف عن نصفه مستور
تتـقـــدم إناثـــه والـذكـور

جميل صدقي الزهاوي
«ثورة في الجحيم»

كلمة

«الشارع يحترق تحت أشعة الشمس، أشعر بالاختناق من شدة الحر داخل هذا الهندام الطويل القاتم، ينتابني احساس بعدم القدرة على التنفس. أثناء سيرنا على الرصيف، استوقفتنا فجأة دورية صفراء. إثنان من حراس الثورة وأختان إسلاميتان نزلوا من السيارة، نظرت لأعرف اتجاههم عندما فهمت على الفور بانهم يقصدوننا. إعتراني الاضطراب. قلقة ومضطربة، نظرت الى صديقتي فكانت شاحبة. وصلت الدورية إلى محاذاتنا وكانت نظرات أفرادها الغليظة والثقيلة تنهال عليّ. لاسمع صوتا بارداً: "حجابك غير لائق و..." لم أسمع الباقي، مرهقة تحت وطأة النظرات التي تفتش في وجهي، يد تمرر بحركة سريعة وجافة منديلاً على شفتي. بقعة حمراء تتكون على المنديل الأبيض كقطرة الدم. ينظرون اليه وكأنهم وجدوا آثار جريمة. أرى وجه صديقتي المنقبض. مسحوقة... شعرت بالعار يجتاحني. دفعونا نحو السيارة، احتجت صديقتي واحتج المارة، أشعر بالعار لكوني امرأة، أشعر بالعار من النظرات التي تتبعنا بعطف... ماذا عليّ أن أعمل؟ توقيع ورقة تلزمني بعدم معاودة الفساد الجنسي؟ مقاساة سياط الجلاد ؟ دفع غرامة؟ لم يعد بامكاني متابعة أفكاري. العار يتلبسني.»

هذا الصوت الصادق والشفاف، لامرأة ايرانية، يبقى أصدق من كل فتاوى الحجاب... هذا العار الذي تتحدث عنه امرأة وتعبر عنه امرأة يتلبس عالمنا بأكمله مادام ثمة عبيد يعتقدون بأنهم احرار، لمجرد قمعهم وازدرائهم لنصف المجتمع، فيما يعبر أبلغ تعبير عن احتقارهم لذاتهم أولاً، وقبل كل شيء.

ولأن هذه المرأة ليست وحيدة، ولأن صوتها لسان حال ملايين النساء فلا مجال للصمت والمهادنة، لأن الصمت والانتحار سيان.

هل ثمة معنى لكتاب عن الحجاب لاتحتل فيه السافرات مكاناً متميزاً وهل يمكن التضامن مع النساء الجزائريات اللاتي يتظاهرن ضد الظلامية والمصريات اللاتي يعبرن بالملموس عن عبقرية المرأة والايرانيات اللاتي يواجهن أشرس أشكال القمع وبنات الجزيرة اللاتي أثبتن في عهد قصير البعد الخرافي لنظرة الوهابية للمرأة والتونسيات اللاتي يشاركن بالفعل في تعميق مفهومي الحرية والمساواة. والمغربيات اللاتي يقاتلن من أجل الانعتاق ونساء سورية والعراق اللاتي يناهضن كل أشكال الاستبداد الخ... هل يمكن التضامن مع "صابره حاشمه" و "الوجه العاري للمرأة العربية" و "أحوال عائشة" و "أخبار فاطمة" الخ. دون إعطاء المرأة المتحررة الحيز الذي تستحق في كتاب كهذا وإعطاء الرجال الذين ناصروا هذا النضال مكاناً فيه؟

نجيب على ذلك بكتاب جماعي تتضافر فيه أصوات الانعتاق والسفور ضد الظلامية، طاعون العالم العربي والعالم الاسلامي اليوم.

لقد تعمدنا استرجاع صفحات من مشوار الحرية في هذا القرن لكي تدرك فتيات الغد الخطر الذي تحمله قوى التعصب والانغلاق، وآثرنا تناول قضية الحجاب ضمن أكثر من مقاربة: تاريخية، سوسيولوجية، نفسية وسياسية. وأخيراً، أردنا طرح مشكلة الحجاب في فرنسا، كونها تعطي المثال الناصع على ديماغوجية الاحتواء الاصولي واستهتار الاصوليين بمصائر الجاليتين العربية والاسلامية لغايات رخيصة.

وإلى كل الاصوات الرافضة لاستلاب المرأة نقدم هذا الكتاب لبنة متواضعة في صرح مشوار الحرية الطويل.

هيثم منّاع

الفصل الاول: الحجاب، وجهات نظر

الحرية في المساواة

هيثم منّاع

يصعب اليوم، تقدير ورصد جملة الكوارث التي رافقت هزيمة السلطات الاوتوريتارية العربية وعودة الاصولية الاسلامية إلى الساحة في العالمين العربي والاسلامي، إلا أن اضطرار الفكر الحر لأن يتصدى بعد ٩٠ عاما من صدور كتاب قاسم أمين « المرأة الجديدة» لقضية الحجاب، يعطي صورة عن الانكفاء الاجتماعي والانحطاط السياسي الذي زرعه الاستبداد المعاصر وتحاول أن تحصد ثماره القوى الظلامية... لذا نقول بكل وضوح، نحن أمام منعطف غاية في الخطورة علينا أن نختار فيه بين تعميق دور المجتمعات التي أنجبتنا كموضوع للاحداث وطفيليات للعالم الحديث، أم ان تكون لنا الجرأة على مجابهة أنفسنا بالقدر اللازم من الحزم النقدي لكي نوقف "السقوط" ونتأهب لنهضة جديدة.

وإيقاف السقوط يتطلب مراجعة النفس، ومراجعة التاريخ. لقد قبلت مجتمعاتنا جلّ ماقبلت من الغرب والشرق في عملية تراكم اعتباطي، بمعنى أننا كنا نضيف ونرفض بالوعي، أو باللاوعي، لايهم، أن نتخلص من الفضلات التى تبقى في الجسم الاجتماعي- الثقافي أردنا الاكتساب بشكل انتقائي ورفضنا نبذ ما أصبح ساماً في تكويننا العضوي، أردنا التعايش ورفضنا التجاوز، فإذا بهذه السموم تستحيل طاعوناً يفتك بالكل الاجتماعي وإذا باشباه مثقفينا يجدون فيه تعبيراً عن هوية مفقودة. نعم ثمة مدرستان في الثقافة العربية المعاصرة أرادتا للمرأة أن تخرج من سجن العبودية، لماذا تهمشتا، ولماذا توقفت

مسيرة الحرية في أكثر من محطة، لماذا يعجز اليوم حكامنا ومحكومونا عن متابعة شرط حيوي من شروط عودتنا الى التاريخ: حرية المرأة في المساواة:

١- هل نرغب في الحياة أم أننا محكومون بالفناء والموت؟ كان تساؤل قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة" (١٨٩٩)، فلنعد إلى الشريعة في قضية الحجاب كون القرآن أصبح أرحم من المجتمع الاسلامي ولننزع الحجاب ونعيد الاختلاط ونُعلّم المرأة وندخلها إلى معترك الحياة من بابها الواسع... بهذا التوجه أرخ قاسم أمين للاصلاح الاسلامي الضروري لتمكن الدين من دخول الأزمنة الحديثة، ومنذ ذلك الوقت تتابع عشرات المصلحين يخوضون معركة اصلاح الدين واصلاح المجتمع بغاية المساواة والحرية كنبوية موسى ونظيرة زين الدين والطاهر حداد ومحمود محمد طه.

« كثيراً مانتظاهر محتجين لفائدة الحرية ولكننا كثيراً مانقتلها في أنفسنا بحجة احترام التقاليد، فما الذي صنعنا؟» يتساءل الطاهر حداد (١٨٩٩-١٩٣٥). إن الشريعة أحكام مرتبطة بظروف اجتماعية وإقتصادية تتغير هي بذاتها مع تغيرها ومن المؤسف أن "المسلمين الذين جاءوا بعد محمد قد عطلوا مسيرة هذه المساواة بل وعملوا عن طريق الحكام والفقهاء على تجميد ما جاءت به الشريعة من حقوق" (امرأتنا في الشريعة والمجتمع). وصولاً إلى المطالبة بالمساواة الكاملة.

الاخوان الجمهوريون هم أفضل ممثل للتطور التاريخي للاصلاح الذي يوصلهم إلى المطالبة بتحقيق -مستوى الشريعة المطورة- والتي تجد ترجمتها في المساواة الكاملة بين الجنسين... فالاسلام كولي للمستضعفين، مع المرأة التي هي "أكبر من استضعف في الأرض"، وهم يهاجمون الاحوال الشخصية السودانية بالقول: "القوانين التي تحكم وضع المرأة الآن قوانين غير دستورية، لانها تعتبر الرجل هو القيم على المرأة وليس القانون ولأنها تفرق بين النساء والرجال في

بقية الحقوق الأخرى.. فالمرأة نصف الرجل في الشهادة ونصفه في الميراث وربعه في الزواج، وهو يملك الحق في تطليقها!! وفي تعليقها!! أو في أخذها لبيت الطاعة!! فأين الدستورية في هذه القوانين؟؟"

(كراس حقوق المرأة في ١-الدين ٢- الشريعة ٣- الفقه، ص ٣)

لقد أصدر الاخوان الجمهوريون ١٦ كراسا في مناسبة عام المرأة العالمي(١٩٧٥) لتأكيد مفاهيمهم الثورية الجديدة للاسلام والمجتمع والحرية... صوت الاصلاح هذا لماذا يتم تهشيمه واعدامه؟ ولماذا تدفع السعودية وإيران لأكثر التيارات تصلباً وتخلفاً براميل النفط لدعمها وتحاصر بكل الوسائل أصوات الاصلاح؟

لقد استلم السلطة والثروة أكثر أشكال الدين تزمتاً (الوهابية في السعودية والخمينية في ايران) ويحاول البَلدان في معارك النفوذ تشجيع كل مايصب في ظلامية ايديولوجيتهما فيما يجعل من الاصلاح الديني عدواً لدوداً لهذه السلطات. وفي حين يطالب الاصلاحيون بنزع الحجاب يوزع عملاء الدولتين "البزة السياسية" لهما غالباً بالمجان وفي محالٍ مختصة، فهل يمكن تسمية عودة الحجاب بالرجوع العفوي للتقاليد؟

في حين توزع كتابات الاخوان الجمهوريين بخط اليد، توزع السعودية كتب المودودي مجاناً وتدفع إيران لموظفيها في الدعاية مبالغ خيالية، وبعدها يحدثنا الاصوليون عن شعبيتهم؟

٢- إذا كان الاصلاح الديني غير مستحيل في الاسلام، فان العلمانية الديمقراطية قد خاضت هي أيضاً معركة تحرر المرأة منذ مطلع القرن. وفي نفس الوقت الذي يعلن فيه سلامة موسى أن الحجاب قد نزل بالمرأة إلى حضيض الحيوان، يكتب شاعر العراق الكبير جميل صدقي الزهاوي مقالته المشهورة "المرأة والدفاع عنها صوت إصلاحي في العراق" (المؤيد، ١٩١٠، العدد ٦١٣٨): "ان سيادة الرجل ليس لها مايبررها، فان كانت القوة البدنية فإن هناك

من الحيوان ماهو أشد ناباً وأوجع رفساً، وإن كانت القوة العقلية فإن الرجال أنفسهم يختلفون في المستوى العقلي.." ويصف حال المرأة "في بيتها ضائعة الحقوق وهي في المجتمع كذلك مهضومة لأنها تعد نصف إنسان وشهادتها نصف شهادة وهي في الحياة مقبورة في حجاب كثيف". سيدفع الزهاوي ثمن آرائه فصله من وظيفته مع حملة شرسة من السلفيين.

بعدها وطيلة سبع سنوات (منذ ١٩١٥) يصدر عبدالحميد حمدي مجلة "السفور" التي يكتب فيها معه مصطفى عبدالرازق وطه حسين ومنصور فهمي ومحمد هيكل.

نعم.. اسبوعية إسمها "السفور" في أرض العرب والمسلمين... هذا هو التراث الذي نعتز به. تراث أمينة الرحال وجميلة الجبوري ومنيرة ثابت ونبوية موسى وهدى شعراوي وسعاد الحكيم، تراث الجواهري واسماعيل مظهر و "الحديث" و "التطور" و "السفور". نحن لانباشر الحرب، بل نخوض معركة في حرب بدأتها الرائدات وبدأها الرواد وواجبنا متابعتها إلى آخر الشوط، نحن لانؤسس بقدر مانتابع التأسيس مستفيدين من دروس الماضي ومطورين لاطروحاته، مجددين ومجذرين.

الحجاب، بوصفه الرمز لجملة أشكال عبودية المرأة في المجتمعات الاسلامية يطرح اليوم عدة تساؤلات حقيقية حول أزمة الرجال والنساء في عالمنا. إن السلطات الاستبدادية المعاصرة أبوية في شكلها ومضمونها، وهي تنظم من فوق تقسيم العمل وتوزيع السلطات، وكونها تحتكر لنفسها جملة تعبيرات ممارسات السلطة في المجال العام، فهي تعطي للرجال نصيبهم في الحياة الخاصة. الرجل العربي المهزوم أمام السلطة الاستبدادية يمارس بشكل عدواني واوتوريتاري السلطة في منزله ومع عائلته، وكلما اشتد قمع الدولة تتم عملية التشدد والقهر في المنزل كهامش للتعويض؛ ومن هنا، فهو يجد في الاصولية الاسلامية، الايديولوجية الممتازة لتدعيم آخر معقل سلطوي له: قهره لزوجته

وأبنائه. هذه الايديولوجية تجعل منه السيد والحاكم بعد أن جعلت منه سلطات الاستبداد العبد المحكوم. الاستلاب العام يعزز الاستلاب الخاص والمرأة تدفع ثمن هذا التراجع الحضاري.

في وضع مرضي كهذا، لايمكن التحدث عن نوع واحد من الحجاب بل عن عدة أنواع أهمها:

١- حجاب الدولة: وأهم مثل عليه تعطيه الخمينية الايرانية والوهابية السعودية وهو يتلخص بقوننة الحجاب وجعله إجبارياً وإلزامياً لكل النساء.

٢- حجاب التقاليد: وهو استمرارية الاشكال ماقبل الرأسمالية للحجاب في الاوساط المحافظة والتقليدية، وهنا يختلف الشكل باختلاف المناطق والبلدان، فقد يكون القناع على الطريقة اليمنية، الملاية على الطريقة الشامية، الحبرة على الطريقة القبطية "والتشادور" على الطريقة الشيعية المحافظة.

٣- الحجاب الاصولي: وهو مايسميه الاسلاميون بالحجاب الشرعي، وترتديـــه الاصوليات أو نساء وأطفال الاصوليين وهو غير قرآني ويعتمد اقراره على مفهوم العورة عند الفقهاء السلفيين (سنة وشيعه) ويعتبره المصلحون المسلمون دخيلاً على الاسلام.

هذا من حيث الاصول الاجتماعية والسياسية، أما من حيث علاقة المرأة بإرتداء الحجاب فثمة ثلاثة أشكال أساسية تعبر عنها النساء المحجبات:

١- حجاب المبدأ والقناعة: وهو يلاحظ عند مجموع النساء الاصوليات وعدد من النساء المحافظات اللاتي بقناعتهن الدينية أو العرفية اخترن هذا النمط من الحياة.

٢- حجاب الاجبار: وهو الحجاب الذي لاحول للمرأة فيه ولاقوة وإنما ترغم عليه سواء لقهر الدولة وعقوبتها أو لقهر الاهل وقمعهم.

٣- الحجاب الذرائعي: وهو يشمل مجموع النساء اللاتي يرتدين الحجاب

ليتمكن من الخروج من سجن الاهل والمنزل، وباسم العفة الظاهرية يتمكن من عيش حياة ثانية تحت الحجاب، وكما تقول احدى النساء "الحجاب يسمح لي بالخروج من المنزل والذهاب الى منزل صديقي وممارسة الجنس معه، فهو أعزب ولايعرف الجيران من يزوره، أخته أم عشيقته، كون أخته محجبة".

وفي الاشكال الثلاثة ثمة مشكلة أساسية تكمن في لجوء عدد من النساء إلى الحجاب لتخفيف القهر الاجتماعي أو الدولاني، لأن حجاب المبدأ والقناعة لايشكل سوى نسبة قليلة بين النساء.

إلى محجبات القناعة نقول: لا إكراه في السفور، ولكن على كل إمرأة أن تفتح عينيها قبل أن تحرمها الظلامية من الرؤية تماماً. إن الحركة الاصولية الابوية نتاج مجموعات من الفئات الوسطى غير المنتجة لا على الصعيد المادي ولا على الصعيد الذهني. لذا فهي تعوض بالعنف سأم تكرار خطابها الايديولوجي وتطمح لسلطة توتاليتارية على مقاس ضحالتها.

وبعد جيل منسجم مع أفكاره، نعاني اليوم من بقايا المنتفعين من الثروة النفطية التي جعلت من أبناء المؤسسين أصحاب السوبرماركت وشركات الكسب الملعوب، هل من الضروري التذكير بأن مرتبات حزب الله وميليشياته أعلى مرتبات في لبنان وأن أموال السلفيين ذات الرائحة النفطية تهدد الاقتصاد المصري؟ لكُنَّ الخيار، ولكن تنبهن فأنتن أول الضحايا؟.. أما فتيات الجيل الجديد من أبناء الاوساط المحافظة فنحن معهن للخلاص من كابوس التقاليد والعبودية وكل تقدمي وتقدمية عليهما شجب قمع الاهل وعسف الآباء، وإذا كان من المسلمين من رفض منذ القرن السابع قمع الآباء واجبار الابناء على اتباعهم، وكان للعجاردة من الخوارج الجرأة على ترك الطفل حراً حتى سن البلوغ ثم تخييره الدين الذي يريد ونمط الحياة التي يختارها، فأضعف الايمان اليوم المطالبة بحرية الاطفال وحقوقهم والدفاع عنهم في الاوساط الابوية والقمعية. إن الاب الذي يعود الى بيته من طهران ليخرج حبة قمح من جيبه ويقول: "هذه

البذرة من عند الاسياد في طهران" لم يعرف بعد أن عصر العبودية قد ولى، والاب الذي يرغم بنته على ارتداء الحجاب باسم الهوية يرتكب جرما شنيعاً بحق مجتمعه، فمن كبريات المصائب اختزال الحضارة إلى الدين واختزال الدين الى شكله الاكثر تعصباً. الحجاب ليس مظهراً ثانوياً جداً كما يقول سمير سعد في (دراسات حول الاسلام) والاستهتار بخطر الاصولية أدى إلى اغتيال حسين مروة احد مؤلفي الكتاب ومهدي عامل وغيرهما، وأوصل كريم مروة في الوقت الذي تجتاح فيه رياح الحرية البيروقراطيات الشرقية الى الاجتماع في طهران، تحت رئاسة ولايتي، لحل المشكلة اللبنانية. هذه العقلية التوفيقية للستالينية العربية تشكل خطرا كبيراً على المرأة العربية ونضالاتها، ولن تجدي نفعاً في معركة العرب ضد السقوط. إن إلزامية الحجاب تشكل انتهاكا صارخاً لحقوق الانسان وعلينا شجبها بكل الوسائل. والمسلم الذي يعرف ان اسلامه قد الغى الوأد في القرن السابع، من مهمته الغاء أشكال الوأد المعاصرة والتضامن مع الاحرار من النساء والرجال وأن يتصدى مع الجماعات الاصلاحية للاشكال الاستبدادية الاصولية حتى لايكون هو ايضاً، ضحية هذا الطاعون.

فلتتلاقَ كل اصوات النساء والرجال الطامحين إلى الحرية والمساواة ولتنضم توجان فيصل إلى نوال السعداوي و"المرأة الجديدة" إلى "نساء" و "٨مارس" وشكري لطيف الى فرج فودة والاخوان الجمهوريون الى العلمانيين الديمقراطيين وجمعيات المرأة في الجزائر وتونس ومصر الى نظيراتها في المشرق، لتتعاون المرأة العربية مع اختها الايرانية والتركية والكردية الخ.. لتستجب لنداء استغاثة السفن الغارقة الذي تعبر عنه غادة السمان بالقول:

« رغم بشرتي البيضاء
أنا امرأة زنجية بمعنى ما
لأنني امرأة عربية
كنت موءودة تحت صحارى الجاهلية

وصرت في عصر المشي فوق القمر
موءودة تحت رمال الاحتقار المتوارث
والادانة المسبقة لي...
لا أفتش عن الحب
أفتش عن امرأة مثليّ
وحيدة ومتوجعة
كي أمسك بيدها
ونحن نلد وحيدتين على أشواك الحقل
وننجب أطفال القبيلة
الذين سيعلمونهم فيما بعد احتقارنا..»

لا... ليست العبودية قدرنا الابدي.

١٩٨٩/١٢/٧

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

التاريخ الاجتماعي للحجاب

تنـــويه: دون أدنى شك، تشـــكل اطروحة منصور فهمي(١٨٨٦-١٩٥٩) التي طبعت كتاباً عام ١٩١٣*، أول عمل اكاديمي ونقدي عربي حول وضع المرأة في الاسلام وحول الحجاب ومن غير المنصف إصدار كتاب عن الحجاب لايضم بحث فهمي حوله. الأمر الذي لايعفي أبداً من مهمة الترجمة الكاملة للكتاب.

لقد توخينا في ترجمة فصل "التاريخ الاجتماعي للحجاب"** الأمانة وتركنا مهمة التحقيق إلى حين ترجمة كامل هذا العمل الهام، كونه من الصعب إجتزاء التأريخ والتدقيق والتحقيق ناقصي التبويب لذلك.

د. م.

ABU AHMAD

التاريخ الاجتماعي للحجاب

منصور فهمي

مع تطور وتقدم الاسلامية في الزمان والمكان، اصبحت الحدود أكثر عمقاً بين الطبقات المختلفة، وأخذ الحجاب والعزل أهمية متزايدة. وعندما فتح الاسلام أراض أخرى، زاد عدد الإماء واصبحت النساء الاحرار تدفع اكثر فاكثر التبعات المزعجة لقاعدة الحجاب والعزل.

في هذا الوقت، فتح الاسلام بلاد فارس والرافدين من جهة، وسورية المحتلة من قبل الرومانيين منذ سبعة قرونٍ من جهة ثانية. ونحو الغرب استطاع الجنرال عمرو بن العاص تحقيق انتصارات سريعة بفتح مصر وبلاد النوبة. وهكذا، وفي حوالي عشرين عاما، توسعت الامبراطورية العربية بشكل كبير وأصبح الفاتحون على صلة بحضارات جديدة. ومع احتفاظهم لأنفسهم بامتيازات الفاتحين، فقد أبقوا على نسائهم في نظام العزل المؤسف لتفريقهن عن باقي النساء.

إن مبدأ الفصل والتفريق الذي جعل منه محمد سستاماً (منظومة) لم يلبث أن اعطى ثماره المرّة. هيبة الحجاب اصبحت سريعاً عامة في الطبقات العليا من المجتمع الاسلامي. إلا أن الطبيعة الانسانية لها مطاليبها وتستطيع أن تعثر على منافذ بالرغم من صرامة الآداب وبالرغم من الشذوذات الاجتماعية التي تبعد لوهلة، الانسان عن الظروف الطبيعية والتوازن المنتظم لحاجياته البيولوجية. وهكذا، فإنّ المكيين، سكان العاصمة المقدسة للاسلام، لم يتأخروا

عن أن يجدوا على لسان أهل الأخبار وسيلة غاية في السهولة للانعتاق لفترة. فحرصاً على مصالحهم العملية، فإن الفقيهي، الذي يستشهد به سنوك هورغرونج Snouck Hurgronje يروي أنه في مكة، كانت الفتيات اللاتي ينشدن الزواج، يخرجن مرة الى الطواف بالكعبة لاعطاء الفرصة لرؤيتهن من قبل الرجال الذين يريدون طلب يدهن «١».

ودون شك، فإن من المحتمل أن يكون ذلك من بقايا عادات قديمة حوفظ عليها بالرغم من التطور العام للمجتمع الاسلامي في اتجاه العزل. ومهما يكن، فإن هذه الممارسات التي يحتمل وجودها طيلة القرنين الاول والثاني للهجرة، تلطف الى حد معين، مضار تشريع لايتناسب مع مصالح الرجال. إلا أن هذا الملطف لم يلبث أن اضمحل مع تزايد تخفيض رتبة المرأة وكلما ازدادت قساوة الاخلاق التي تصاعدت وتعممت مع الوقت لتشمل كل البلدان التي عرفت الاسلام الاول.

وفي اليمن، في القرن الثالث للهجرة، وعندما بلغ الامام يحيى الهادي أن سكان العاسوم لايحترمون بدقة قواعد الاسلام في حياتهم الجنسية والزوجية، رأى من الضروري أن يفرض على سكان هذه المنطقة قواعد صارمة، فطلب أن ترتدي النساء الحجاب ومنع النساء البدويات من الذهاب إلى السوق مكشوفات الوجه «٢».

في مصر، وفي الحقبة نفسها، نلاحظ مبدأ العزل بكل أبعاده. المؤرخ المصري ابن إياس يخبرنا بأن الفقيه الشافعي قد طلب في وصيته أن تقوم نفيسة، وهي من حفيدات النبي، بالقيام بصلاة الميت عليه. وقد تم احترام وصيته، وقامت نفيسة بالصلاة، ولكن لوحدها مع التابوت معزولة عن الجموع بستارة «٣».

في القرن التاسع للهجرة، اي في الحقبة التي وصل فيها سستام العزل في مصر إلى ذروته، قرر سلطان مصر، منع كل النساء، تحت أي عذر كان، من

الخروج باستثناء العاملات في غسل الموتى «٤». وبذلك أضحينا بعيدين جداً عن الحرية التامة التي تركها محمد للنساء في الصلاة في المسجد ورؤية وجوههن وأيديهن.

أبحاث فيلولوجية (فقهية لغوية) حول تاريخ الحجاب

كلما ازداد الوضع المأساوي للمرأة سوءاً في العالم الاسلامي، كلما تعقد زي المرأة بتأثير سستام العزل. ففي الازمنة الأولى للاسلام، وفي وقت كان معظم العرب فيه مازالوا بدواً تتكون قراهم من خيم مزروعة في الصحراء، كان فن الخياطة مهملاً الى حد ما، ولم يكن هناك تقسيم للعمل(٥)، وكان الحائك ينجز العمل كله وحده، ولانستطيع التمييز كثيراً بين ثياب المرأة وثياب الرجل، فالاهم من الملبس، يختصر في ثوب مخاط من قطعة واحدة تحيط بالجسم. بعدها، ومع الفتوحات، أخذ العرب الفاتحون عن الشعوب المهزومة الكثير من ملابسهم والكثير من الترف، ويشير ابن سيده إلى ما أخذوا عن الفرس والرومان(٦).

في اسبانيا، وبشكل خاص في الحقبة الأخيرة لامبراطوريتهم، تبنى العرب قسماً كبيراً جداً من ملابس الفرسان المسيحين كما يشير دوزي(٧). وأستعير من هذا المؤلف المقطع التالي المتعلق بملابس المرأة: "عندما منع فيليب الثاني على المور(٨) الاسبانيين ارتداء أزيائهم الوطنية قال احد الموريين الذي استدعاه مارمول فرانشيسكو نيونيز مولي هذه العبارات: إن زي نسائنا لم يعد موريا، انه زي الريف كما هو حال كاستيليا. في البلدان الاخرى يختلف المسلمون عنا في هندام الرأس والملبس والاحذية. من يستطيع أن ينكر أن زي نساء المور الافريقيات والنساء التركيات لايختلف تماماً عن الزي الذي ترتديه نساء غرناطة؟"(٩)

إن التعقيد المتزايد في الملبس، يظهر بوضوح عندما نقارن بضعة الاسماء التي تشير إلى الملابس في زمن محمد والتي حفظتها لنا الادبيات القديمة، مع تلك التي استعملت فيما بعد. وفي قاموسه لأسماء الملابس عند العرب، يتناول دوزي ملابس الرجال والناس مع الاشارة الى اصلها الغريب. لن نتوقف كثيرا عند ذلك، وسنتناول الملابس التي كانت سائدة في القرن الاول للهجرة والتي يتناولها التشريع القرآني والتي تهم موضوع دراستنا حول عزل النساء.

يمكننا أن نجزم، بشكل شبه قاطع، وفقاً لمعرفتنا حول الحياة والاخلاق في الفترة التي سبقت محمد بانه لم يكن موجوداً في تلك الحقبة قطعة ملبس غايتها ستر وجه المرأة عن انظار الرجل، ويمكننا ان نوضح هذا التأكيد، بشكل أكثر قطعية عند الحديث عن المجتمع العربي في عهد محمد، والذي فيه طبق قوانينه.

سبق واشرنا، في الفصل السابق الى أن محمد كان يذهب مع زوجته خديجة وابن عمه الشاب (علي) للصلاة معاً في الكعبة وقد كانت النساء تشارك في الحياة العامة بشكل يشغل الرجال ويثير مخاوف تأثر نسائهم وأطفالهم بالدين الجديد(١٠). ولم يكن ثمة عوائق تعكر صفو العلاقات الطبيعية في الحياة اليومية بين الجنسين.

من نقطة الانطلاق هذه، ومن هذا الوضع، الذي ليس فيه مايصدم نظراتنا المعاصرة، سننتقل تدريجيا إلى حال الفصل الجذري بين النساء والرجال.

في البدء، طلب محمد إلى النساء الأحرار أن يتميزن عن الاماء بارتداء الجلباب، وقد صاغ ذلك في الآية التي آوردناها آنفاً(١١). هذا الجلباب تم وصفه بشكل غير دقيق من قبل رواة الحديث والعلماء، وقد أثار فيما بعد تعارضات لانهاية لها، كانت نتيجتها تعقيد الوضع اكثر، وسمحت باذلال وتحقير المرأة أكثر.

واذا تفحصنا المشكلة باسلوب معمق أكثر، ونقدي أكثر، من الممكن

الوصول الى تحديد شكل "الحجاب" هذا وبالتالي تقديم زي المرأة الذي أراده محمد.

كلمة جلباب تعني تحديداً قميص، حسب القاموس وحسب عالم اللغة الجوهري، فهو ملبس خارجي يشبه الشال الكبير أو المعطف ويعطيه اسم "ملحفة".

ابن سيده في المخصص يقول بأن "الجلباب" يعني "الملأة" نوع من المعطف يسمى أيضاً "المرط"(١٢).

المرط حسب الجوهري ملبس من خيط مشاقة الحرير يستعمل كغطاء. ابن سيده يستعمل ايضاً هذا التعبير: المرط هو اللباس الذي يستخدم كإزار.

من هذه النبذة اللغوية يمكن أن نخلص إلى أن الجلباب يمكن أن يعني إما القميص أو المعطف أو الشال. وعلينا أن نبعد على الفور معنى القميص الذي لايتوافق مع حكم القرآن. في الواقع، القرآن يطالب المؤمنات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، والقميص في شكله لايسمح بالتأكيد، بالاستجابة لهذا الطلب، وعلى العكس من ذلك فإن الملابس التي لها شكل المعطف أو الشال تتناسب تماماً مع ذلك. ومن هنا يحق لنا بأن نترجم كلمة جلباب بشال أو معطف. والترجمة تنال شرعيتها من كون المرط كان أيضاً لباساً عاماً تضعه النساء فوق باقي الملابس. ونخلص من ذلك، إلى أنه غير مطروح بحال ارتداء ملبس خاص لتغطية الوجه: الازار أو الجلباب يوضع فقط بشكل يغطي الرأس أو قسماً من الوجه لتتميز به النساء الاحرار كما اراد محمد.

بعد عامين أو ثلاثة من اجبارية الحجاب، وضع محمد لنسائه قاعدة العزل. وبهذين الأمرين المتضامنين (الجلباب والعزل) واللذين يبالغ أحدهما في الآخر، أخذت المسألة سريعاً أبعاداً لاحساب لها بالقياس الى المضمون الاصلي الذي جاءتا فيه ومن المؤكد أنه لم يكن بالامكان عدم اتباعهما دون المس بالدين، ولكنهما لم ينالا هذه الاهمية إلا لأنهما وجدا ظروفاً مناسبة كما سنرى بواسطة

مؤسسات ملازمة لهما كالعبودية. ولكن موضوع بحثنا ينحصر على قضية الحجاب والملابس الخاصة لحجب الوجه.

إن ما أتينا على ذكره، يبين بأنه لم يكن في عهد محمد عند العرب قطعة ملابس خاصة غايتها تحديداً حجب وجه المرأة والادبيات عندما تتناول قضية ملابس النساء لاتورد سوى الازار والجلباب والدرع أو القميص والخمار. ونحن نعرف بشكل أكيد بأن هذه الملابس كانت ترتديها كل النساء في زمن النبي(١٣)، إلا أن ادبيات الحقبة لاتشير الى غيرها. وقد بقيت أيضاً تشكل الملابس الكلاسيكية لبعض الوقت بعد وفاة محمد (١٤). ولكن في القرنين الأول والثاني للهجرة دخل "النقب" و "البرقع" في الآداب وهما عبارة عن حجابين مهمتهما تغطية الوجه، ونستعير من دوزي التفسيرات التي يعطيها بشأنهما ثم نتناول بعد ذلك ماوجدناه في تاريخ الحجاب.

"إلى هنا، يقول دوزي، لم يمر بنا أي مصطلح يستخدم لتسمية حجاب للمرأة فيه ثقبان حذاء العينين، ومع ذلك، فان حجاباً كهذا كان يستعمل لأن الرحالة يتحدثون عنه. ولكن الفعل نقب بالعربية وفي العبرية נקב يعني per-foravit (المنقب بالعربية- المترجم). ومن الطبيعي إلى حد ما الافتراض بأن كلمة نقاب يمكن أن تعني Velum cuit Sunt Foramina وفي الواقع فإن ابن جني يؤكد ذلك بالقول: " النقاب أن تعمد المرأة إلى برقع فتنقب منه موضع العين (في تعليقه على شعر المتنبي، مخطوط ١٢٦ ورقة ٢٢٠). ونقرأ في رحلة ڤان غيستل(١٥): " وترتدي نساء الريف أمام الوجه قطعة من قماش مزودة بثقبين للنظر منهما". ويقول بيلون(١٦) الشيء نفسه: وطريقة الفلاحات العربيات والمصريات هي القناع، الأكثر دمامة: لأنهن يضعن فقط مقطع نسيج قطن أسود أو من لون آخر أمام العينين معلق على الوجه ومتحدر حتى الذقن مثل كمامة فتاة تدعى ذات اللحية. وللتمكن من الرؤية عبر هذه المفضلة "الفوطة" يجعلن ثقبين عند العينين. وهن بذلك يشبهن في زيهن المتحصن

الفرسان الذين يتصارعون في الجمعة المقدسة في روما واڤينيون" (قارن مع بيترا دولا ڤال)(١٧).

الامير رادزيڤيلي(١٨) يقول أيضاً: "يشكل حجابهن قطعة من القطن يوجد فيها ثقبان عند العينين (Formaminibus pro oculis excisis) وتنزع الريح بسهولة الحجاب وليس من الصعب رؤية وجوههن". ونقرأ في كتاب آخر(١٩) أن نساء الأرياف "يغطين الوجه بقطعة قماش مخيفة المنظر فيها ثقبان عند العينين". وعند كوبان(٢٠): "بنات الاشخاص الميسوري الحال يضعن برقعاً أحمر، وبنات الفقراء يضعن برقعاً أبيض أو ازرق. وفي الحالتين نجد فتحتين حذاء العينين تتمكن عبرهما المتسترات من الرؤية عند السير ". وهذا النوع من الحجاب كانت ترتديه أيضاً النساء البدويات في مصر ونجد عند هيلفريخ(٢١): "يغطين وجههن بقطعة قماش فيها ثقبان للرؤية" ويقول روجيه (٢٢) في حديثه عن بدويات سورية: "يضعن قماشاً على الوجه مثقوباً في منطقة العينين"(٢٣) أ.هـ

إذن فالحجاب المسمى "النقاب" كان الموضة الاكثر استعمالاً، هذا الحجاب لم يكن يستعمل في عهد محمد. ولم نجد سنداً واحداً يمكن أن يجعلنا نتنازل في تأكيدنا هذا. والنقاب لم يكن مستعملاً إلا في حالات خاصة، وكرداء استثنائي. ويخبرنا الحديث أن عائشة خرجت مرة في نقاب عند باب المدينة لرؤية صفية السبية اليهودية التي اعتقها محمد والتي ضمها الى نسائه(٢٤).

هذه الواقعة التي يستشهد بها الرواة بوصفها استثنائية لاتؤيد بالتأكيد قدم استعمال الحجاب، بل تقودنا الى تأكيد العكس. ان ابن سيرين، عالم من القرن الاول (توفي في ١١٠هـ)(٢٥) يعلن أن النقاب لم يكن سوى موضة (٢٦). وهذا يدعم فرضيتنا بأن استحداث النقاب كان في النصف الثاني من القرن الاول للهجرة.

النقاب، هذه الموضة الاسلامية اصبحت ذات استعمال شبه معمم، وكما

يمكن أن نلحظ عن دوزي، كان لها حظها من النجاح عند مسيحيات سيسيليا في القرن السادس للهجرة، لنقرأ نص ابن جبير الذي يتحدث عن سيسيليا: " وزي النصرانيات في هذه المدينة زي نساء المسلمين فصيحات الالسن ملتحفات متنقبات خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن باللحف الرائقة وانتقبن بالنقب الملونة وانتعلن الأخفاف المذهبة وبرزن لكنائسهن أو كنسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر"(٢٧). من الممكن أن ملاحظة ابن جبير لاتكون صحيحة إلا عن مسلمات اصبحن مسيحيات واحتفظن بالزي والعادات الاسلامية، أما الواقع ومايهمنا، فهو تعميم النقاب.

النقاب، مستحدث القرن الاول الهادف الى تغطية صارمة لوجه المرأة، يجد إلى جواره لهذه الغاية حجاباً من نفس النمط: البرقع، والموظف لنفس الغاية، ويعود استعماله تقريباً إلى نفس حقبة استعمال النقاب.

وحسب عالم اللغة الجوهري فالبرقع يشير إلى ملابس النساء البدويات(٢٨). ومن الاعتباطية أخذ موقف سريع حول دور هذا الزي. هل كانت غايته الحماية من قساوة الطقس أم ضد الحشرات؟ هل استعمل لحماية وجه البدوية من نظرات الرجل؟ ليس بالامكان الحسم في ذلك، إلا أنه بالامكان الافتراض أن للبرقع دوراً آخر غير العزل. النصوص البدوية القديمة والعربية ماقبل الاسلامية تعرض لنا حالات يرتدي فيها الرجال الحجاب، الامر الذي يمكن وصفه حسب اعتقادنا بالاعتيادي في الظروف الخاصة للحرب والقتال والثأر. ولا يقدم لنا الادب أو فقه اللغة من المعلومات المفيدة أو الواضحة حول هذا الملبس الذي لم يكن عاماً عند قدماء العرب وتعمم استعماله لاحقا. ونقتطف توضيحات دوزي الذي جمع معلومات عن زي يحمل هذا الاسم في حقبة أكثر حداثة:

" نعرف أن البرقع كلمة استعملها الشعراء العرب كالمتنبي والمعري الخ. وبمقارنة الشعر الذي يستشهد به الجوبري نرى بأنه كان متعدد الألوان في القدم.

ويشير الشعراء غالبا إلى هذا الحجاب في استعاراتهم. ولكن في القرون الوسطى للتاريخ العربي كان مصير هذا الحجاب الاندثار واصبحت الموضة باستبداله بحجب أخرى. وفي الواقع، نبحث دون جدوى عن هذه الكلمة في "ألف ليلة وليلة" الكتاب الذي نجد فيه اشارات لعدة انواع من الحجاب. وأظن، إن لم أكن مخطئاً أن الاشارة إلى هذه الكلمة عادت في القرن الماضي حيث نجد "البرقع" في مصر ويصفه الكونت شابرول كما يلي(٢٩): «مايغطي الوجه من مارن الانف وهو متصل بهندام الرأس أعلى الجبهة في كل جانب، وهو قطعة من الحرير أوالقماش الابيض الرقيق بعرض الوجه ويمتد حتى الركبتين. وهذا الحجاب ضروري للمرأة التي تخرج من بيتها».

ونقرأ في كتاب بوكوك(٣٠): " وتضع نساء العامة على الوجه نوعاً من المريلة التي تتصل بشريط إلى هندام الرأس فوق الانف" وفي مرجع أخر نجد(٣١): "قطعة من الحرير الأسود تقوم تماما بدور الحجاب بحيث لايمكن أن نرى من الوجه سوى العينين" (يذكر الكاتب ذلك عن نساء العامة). وفي Planche XX° يمكن أن نرى زي امرأة من القاهرة من وضع اجتماعي أكثر يسراً يتجاوز فيه البرقع الأسود فقط منتصف الجسم. وهو يشير في الوقت نفسه تماماً إلى ماتعنيه كلمة "يشمق" التركية، حيث يمكن أن نقرأ في كتاب تورنر(٣٢)، أن هذا الرحالة شاهد في رحلته بين دمياط والاسكندرية نساء قبطيات يرتدين "اليشمق" الطويل الاسود الذي ينزل من أعلى الانف إلى الركبتين. ونفس الرحالة يقول في مكان آخر (ج٢ ص٣٩٦) عن نساء العامة في مصر بأن هذا المنديل يعلق عليه عند الجبهة بعض الحلي من ذهب وفضة أو نحاس أصفر. و "اليشمق" حجاب من القطن الاسود أو الحرير يغطي كل الوجه عدا العينين وينزل حتى الصدر وأحياناً حتى الركبتين". وأخيراً نورد مايذكره لين (٣٣) في كتابه الجميل: " برقع أو حجاب الوجه (للنساء من الطبقات الراقية والمتوسطة) وهو قطعة من النسيج الموصلي (نسبة لمدينة الموصل في العراق-

المترجم) الابيض تغطي كل الوجه عدا العينين وتنزل تقريبا حتى القدمين، يعقد في طرفيها العلويين شريط يمر على الجبهة ويتصل بدوره مع نهايتي الحجاب العليا بشريط آخر حول الرأس. وبعد ذلك يقول نفس المؤلف (جزء١، ص٦٤) بأن نساء العامة يرتدين برقعاً، نوع من الكريب (قماش رقيق جعد- المترجم) الأسود الواسع، وبعض من ينحدرن من اسرة الرسول يلبسن برقعاً أخضر. وفي مكان آخر يصف بعض زينة البرقع (جزء١، ص٦٦. ٩٧) بهذا الشكل: القسم الأعلى من البرقع الاسود مزين بحلي من المجوهرات المزورة وقطع نقود صغيرة من الذهب، وحلي أخرى من نفس المعدن، صفائح صغيرة تسمى البرق؛ وفي بعض الحالات بحبات المرجان تحتها قطعة نقد ذهبية. وفي أحيان أخرى، قطع نقود فضية ليست ذات قيمة كبيرة؛ والأكثر اعتيادا سلاسل من النحاس الاصفر أو الفضة تتصل كل منها باحد طرفي البرقع في الاعلى. وتسمى عيون. ويمكن أن نجد شكل البرقع عند لين (ج١،ص٦٢. ٦٤. ٦٥. ٦٦) وفي وصف مصر(٣٤).

وفي أيامنا لانلحظ نوعاً آخر للحجاب في مصر.

في سورية، ترتدي البرقع النساء البدويات اللاتي يطلق عليهن اسم "قبيلي" Keblis(٣٥) وفي الساحل السوري يلاحظ وجود هذا النوع من الحجاب ايضاً(٣٦). أما في الجزيرة العربية، فترتدي البرقع حاليا نساء مكة وجدة والمدينة ويلبسنه أبيض أو أزرق(٣٧).

وفي القرن الرابع عشر للميلاد يبدو أن البرقع كان مستعملاً في شيراز لأن ابن بطوطة في رحلاته يتحدث عن نساء هذه المدينة بالقول: "ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء".

ومن المفيد الاشارة إلى أنه في بلاد ماوراء النهر، فإن تعبير برقع يعني حجاباً للوجه، ولكنه حجاب كبير أو معطف تلتحفه المرأة بشكل كامل. ونقرأ في أحد المراجع(٣٨): " وتضع النساء على اجسامهن الچادر (التشادور) أو غطاء

من الحرير يسمى بوركا يغطي الجسم من الرأس حتى القدمين، ولكن يترك قرب العينين فتحة صغيرة كالشبكة بالشكل الذي نلحظه عند الفرس" (وهذا ينطبق حصراً على نساء المدن، أما نساء الريف فسافرات الرأس وكذلك النساء المسنات في المدن)(نفس المصدر، ص٨٦)، وفي مكان آخر (ص١٠٤) نجد: " نساء المدن والقرى يتحجبن كما في الدول المحمدية الأخرى ويلبسن البوركا التي تغطي الجسم من الرأس حتى القدمين"(٣٩). أ.هـ

هذا التحقيق الذي قام به دوزي، يظهر أن "البرقع" كان موجودا في عدة أماكن وفي اشكال مختلفة. وأصل هذا الملبس غير واضح تماما، وهو نادراً مايرد في الادبيات القديمة، وأقدم نص يشير إلى البرقع هو شعر لسحيم عبد بني الحسحاس(٤٠) والذي قتل في عهد الخليفة عمر، ونجد أيضاً في الحماسة (ص٩٥، طبعة٢٣، فريتاج) جملة تشير الى هذا الهندام.

التبريزي، الذي اعتاد التعليق على الاشعار القديمة يحدثنا بأن الشاعر القتال نجا من انتقام اعدائه بارتدائه ثياب امرأة(٤١) وفي مقطع آخر من الحماسة نجد إشارة للبرقع كجزء من تجهيز الحيوانات(٤٢).

هذه هي أقدم النصوص التي تشهد على وجود هذا اللباس، وليس بالامكان استخلاص استنتاج مقبول إلا في اطار ماسبق وذكرناه آنفاً. ولنعرض واقعة تشير إلى مدى أهمية الحذر في هذا المجال. فأثناء بحثنا في أصل البرقع، مر بنا مقطع يورد فيه الشاعر عمر بن أبي ربيعة كلمة "القناع" في إحدى أشعاره المجازية، ونحن نعلم أن القناع زي يضعه الجنسان على الرأس. ولو أراد الشاعر لاستعمل كلمة تتبرقعا بدل كلمة تتقنعا، ولا يعترض على ذلك لا اللحن ولا الضرورة الشعرية(٤٣). إن استعمال الشاعر لهذه الكلمة يؤكد على ندرة استعمال الحجاب الذي يغطي الرأس.

---

* Mansour FAHMI, La condition de la femme dans la Tradition et

L´évolution de l´Islamisme, Paris, Félix Alcan, 1913.

**Ibid, P.P. 58-78.

١- فقيهي، ص٢، طبعة وستنفيلد:

ذكر الطواف بالجواري الاحرار والاماء بمكة إذا بلغن... وجعلوا عليها حليا إن كان لهم ثم أدخلوها المسجد الحرام مكشوفة الرأس بارزته حتى تطوف بالبيت والناس ينظرون اليها ويبدونها ابصارهم فيقولون من هذه؟ فيقال فلانة بنت فلان إن كانت حرة ومولدة آل فلان إن كانت مولدة.

٢- هذه الرواية، أخبرنا بها السيد اريندوك من لايدن، الذي يعمل على تاريخ أئمة اليمن. وهي مأخوذة من مخطوط في مكتبة المتحف البريطاني.

٣- ابن إياس، تاريخ مصر،ج١،ص٣٣، طبعة بولاق.

٤- ابن إياس، تاريخ مصر، ج٢، ص٢١: ثم انه (أي الاشرف برسباي) نادى بأن امرأة لاتخرج من بيتها مطلقاً فكانت الغاسلة إذا أرادت التوجه إلى مينه، تأخذ ورقة من المحتسب وتجعلها في رأسها حتى تمشي في السوق.

٥- هذه الفكرة العامة عن البداوة ليست دقيقة، فقد كان هناك تقسيم عمل بين الجنسين وكانت الحياكة من مهمات المرأة التي تشكل العنصر الانتاجي الاساسي في القبيلة. للتوسع، إنظر: هيثم مناع: انتاج الانسان شرقي المتوسط، ص٨٩ ومابعدها (المترجم).

٦- ابن سيده، المخصص، الفصول التي تتعلق بملابس النساء والامتعة المنزلية. (الجزء الرابع)

٧- دوزي، قاموس منفصل لأسماء الملابس عند العرب (بالفرنسية).

٨- المور: تسمية تاريخية كانت تطلق على المسلمين العرب والبربر في شمال افريقيا وعلى المسلمين الذين اقاموا الامبراطورية الاموية في الاندلس وذلك بين القرنين الثامن والخامس عشر (المترجم).

٩- دوزي، نفس المصدر،ص٣.

١٠- البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٣١٩: فإنا قد خشينا أن يفتن ابناءنا ونساءنا.

١١- الآية هي : "ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلبابهن

ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين- الاحزاب ٥٩- (المترجم).

١٢- ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٧٦ : الملحفة- الملأة واللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه - المرط ملحفة يؤتز لها الجلباب الملأة. وفي نفس المصدر، ص ٩٤ نجد: الجلباب هو القميص وقد تقدم أنه الملأة.

١٣- طبقات ابن سعد ، ج٨، ص٦٩: كانت ميمونة تضلى في الدرع والخمار وليس عليها إزار.

١٤- تفسير الطبري، ج٢، ص٢٠٥: إن شريحاً كان يمتع بخمسمائة قلت لعامر ما وسط ذلك؟ قال: ثيابها في بيتها، درع وخمار وملحفة وجلباب.

15- T. Vojage van Mher Joos van Ghistele, Page.23.

16- Belon, Observations, Page. 233.

17- Pietra della Valle, Viaggi, tom.1, Page. 330.

18- Radzivill, Jerosolymitane perigrinatio, Page. 187.

19- Arelation of a Journey begun An. Dom 1610, Page. 209.

20- La Religion de Coppin (Le Bouclier de L'Europe), Page.219.

21- La Religion de Hellfrich (Kurtzer und wahrhaftiger Bericht von der Rayszn, fol. 387 V°).

22- Roger, La Terre Sainte, Page. 208.

23- Dozy, Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez Les Arabes, Page.424 et suiv.

٢٤- انظر طبقات ابن سعد، ج٨، ص٩٠: "فسمع بها نساء الانصار وبجمالها فجئن ينظرن إليها وجاءت عائشة متنقبة حتى دخلت عليها فعرفها النبي".

٢٥- إنظر: ابن قتيبة، كتاب المعارف.

٢٦- لسان العرب، كلمة نقاب. يقول ابن منظور: وفي حديث ابن سيرين: النقاب محدث، أراد أن النساء ماكن ينتقبن أي يختمرن (إضافة من المترجم).

٢٧- ابن جبير، رحلة الى سيسيليا.

٢٨- البرقع، حسب الجوهري والليث وابن منظور والازهري: تلبسه الدواب ونساء الاعراب. وبرأينا فإن استعمال البرقع عند الاعراب سبق استعمال النقاب ولم يكن عاماً في الجزيرة العربية، وكان اسمه ايضاً الوصوصة. يقول ابن منظور: "الوصوصة والبرقع وكان من لباس النساء، ثم احدثت النقاب بعد ". (المترجم)

29- Chabrol, La descriprion de L´Egypte, tom.XVIII, Page.114.

30- Pocock, Beschrijving van bet Oosten, tom. 1 Page. 320.

31- Relation de Wittman, Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypte. Page.374.

32- M. Turner, Journal of a Tour in the Levant, tom II, Page. 308.

33- M. Lane, Modern Egyptians, tom I Page.61.

34- La Description de L´Egypte (Atlas, tom I pl.E.41).

35- Burckhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, Page.29.

36- Voyez: M. Turner, Journal of a Tour in the Levant, tom. II, Page. 105, 304.

37- Burckhardt, Travels in Arabia, tom.II Page. 243.

38- Relation de Fraser, Journey into Khorasan, Appendix E, Page.89.

٣٩- هذا المقطع الطويل مأخوذ عن كتاب دوزي ص ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨. (نود التنويه إلى أن كتاب دوزي صدر عام ١٨٤٥، ومن هنا، فحالياً بالنسبة للمؤلف، تعني النصف الأول من القرن التاسع عشر- المترجم).

٤٠- يعود الفضل في هذه الملاحظة الى نولدكه، عبر السيد سنوك، وهي مأخوذة من مخطوط قديم في لايبزغ.

(سحيم شاعر غزل من أصل حبشي ومن رقيق شعره، نجد استعمال المئزر ايضا في قوله:

حَمَلْنَ جِرانَ العَوْدِ حتى وَضَعْنَهُ بعلياء في ارجائها الجنُّ تَعزِفُ

وأحرَزْنَ مناكل حُجرةٍ مئزرٍ لهن، وطاحَ النوفلي المزخرفُ

وقُلْنَ: تمتع ليلة النأي هذه فإنك مرجومٌ غداً أو مُسيَّفُ

وقد مر بنا أكثر من مثل على البرقع والبرقوع منها قولة الجعدي:

وخدٌّ كبرقوع الفتاة مُلَمَّعٍ وروقين لما يَعدُ أن يتقشرا

فيما لايتعارض مع وجهة نظر منصور فهمي - المترجم)

٤١- انظر الحماسة ص ٩٥: ثم خرج من القتال هاربا وأصحاب القتيل يطلبونه فمر بابنة عم له تدعى زينب متنحية عن الماء فدخل عليها فقالت ويحك قال القي عليّ ثيابك فالقت عليه ثيابها والبسته برقعها.

٤٢- نفس المصدر، ص٥٤١:

عهدت بها وحشاً عليها براقع وهذي وحوشٌ اصبحت لم تبرقع

٤٣- نفس المصدر، ص٥٢٢:

ولّما تفاوضن الحديث واسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا.

مقاربة سوسيولوجية

بانو پارسي، هو الاسم المستعار لمناضلة في احدى الحركات النسوية الايرانية المعارضة، باحثة في العلوم الاجتماعية ولها كتابات عديدة حول وضع المرأة الايرانية وقضية الحجاب. والبحث الذي خصتنا به، هو المادة الأولية لكتاب يصدر لها بالفرنسية حول الموضوع.

إن النضال من أجل قضايا المرأة لايعرف الحدود، ومشاركة المناضلتين والصديقتين ماهناز ماتين وبانو پارسي في هذا الكتاب، كما كان التعاون مع عدد من المفكرين الايرانيين والاتراك في "سؤال" وفي "ملف رشدي" هو أفضل رد، ليس فقط على الاصولية وإنما أيضاً على النزعات الشوفينية التي تعززها السلطات القائمة.

نظرة سوسيولوجية لمشكلة الحجاب في ايران

بانو پارسي

الحجاب، قطعة القماش التي تغطي وتستر المرأة عن نظرات الآخرين، يبدو في تاريخ ايران المعاصر، كمرآة تنعكس عليها صورة النساء الايرانيات. كذلك كل الازدواجية والتعقيد في العلاقات التي تعيشها. ويظهر تاريخ الحجاب كيف تُقَدَّمُ قضية حرية النساء كرهان خطير، اجتماعي-سياسي في ايران المعاصرة.

في مطلع القرن، وفي فترة الثورة الدستورية، طرحت :المتيقظات" من النساء الحجاب كرمز للوضع اللاإنساني. وشبهن الحجاب بالسجن والكفن وأدنّه بوصفه السبب الاساسي لوضع الدونية الذي يعشنه. وكان نزع الحجاب يعني بالنسبة لهن، تجاوز الحدود الموضوعة للمنزل للخروج الى العالم، "للحياة الحقيقية". وكان مشهد الحياة والنضال للنسوة الغربيات، الجاري تحت ابصارهن، يشحذ عواطفهن من أجل الحرية والمساواة. مورغان شوستر، الذي احتل منصب الامين العام للخزينة في فترة قادجار، يتحدث في كتابه(١) بحماس واعجاب عن النساء الفارسيات "اللاتي عانين بانفسهن من قمع مزدوج، سياسي واجتماعي واللاتي بعثن الحمية من أجل خلق حركة وطنية، ونيل حكومة دستورية وقبول القوانين السياسية والاخلاقية لأوربة".

وفي الحقيقة، فإن عشق الحرية، الديمقراطية والتقدم، والتي يقدم الغرب نموذجها، طبع بعمق روح الثورة الايرانية الدستورية. بينما بعد عقود زمنية وفي ثورة ١٩٧٩، كانت معاداة الغربية العالية تتداخل مع معاداة الامبريالية، والنضال ضد دكتاتورية الشاه يتداخل بغرابة مع رفض الديمقراطية الغربية. في الثورة الدستورية، كان موضوع تحرير النساء ونزع الحجاب مُسلّمة أساسية للقوى الديمقراطية، وكان هذا الموضوع في قلب النضال الدائر في صفوف الثورة بين القوى التقليدية، وعلى رأسها العلماء الأكثر تصلباً، الذين يطالبون بدستور اسلامي، وقوى الحداثة التي تدافع عن دستور علماني (ويمكننا متابعة معالم هذا الصراع في فترة مصدق).

بينما في ١٩٧٩، كان الحجاب الأسود للمتظاهرات يشير إلى اتفاق كل القوى المناهضة للدكتاتورية للتحرك تحت قيادة خميني. هذا الرمز "للاسلام الثوري". هل يمكننا عدم رؤية الأثر المتعذر محوه لدكتاتورية الشاه بهلوي "الحديثة" في هذا التغير الغريب بين ثورة وأخرى، لعملية "التحديث من فوق" التي باشرتها الشاهنشاهية في موازاة القمع الشامل للحركات الاجتماعية في المجتمع الايراني؟

فيما يتعلق بموضوع النقاش، يمكننا هنا تتبع بصمات "نزع الحجاب الاجباري" لرضا شاه و "لتحرير المرأة" عبر "الثورة البيضاء" لمحمد رضا شاه في رد الفعل المسعور الذي تظاهر به معظم الثوريين والمثقفين المعارضين للنظام ضد المرأة "غير المحجبة"، الحديثة، والتي تعطي صورة المرأة الغربية.

بالنسبة للمثقفين المعارضين للنظام، مناهضة الامبريالية كانت في صلة مع شكل من أشكال رفض "الغربية". رد فعل على ولوج "الثقافة الامبريالية الغربية"، والبعض منهم لجأ إلى الشيعية ليعبر عن قطيعته مع كل تأثير اجنبي مهيمن. وتبنى موضوعة "العودة إلى الاصول"، بحثاً عن "هوية مفقودة"، للتمكن من الدفاع ضد غزو الثقافة الاجنبية (الغربية). مشبعا بآن بالاسلام

والايديولوجيات "العالم ثالثية"، كمثل فرانس فانون، حاول علي شريعتي، قائد هذا التيار، الأخذ بالشيعية مع الهجوم على تعصب الملالي. وقبله في الستينات، جلال آل أحمد، الكاتب الايراني المعروف كان يدافع عن العودة إلى الاصول الاسلامية بوصفها الوسيلة الوحيدة للنضال ضد الاستلاب الثقافي الذي يسميه "التسمم الغربي".

في هذه النظرة تم تقديم الحجاب بوصفه علامة الاحتجاج على صورة "المرأة-الموضوع" التي تحملها الثقافة "الغربية الامبريالية".وهكذا بدا الحجاب كرمز "لعدم استلاب" المرأة المسلمة. الاتجاهات السياسية الاسلامية (غير التقليدية)، كالليبراليين (نهزات ازادي) و "مجاهدي الشعب" كانوا ينشرون نفس الآراء. وهكذا في السبعينات، كان عدد الطالبات اللاتي يرتدين الحجاب في الجامعات يتصاعد بشكل كبير، بينما لم يتوقف عدد النساء السافرات عن الزيادة في المدن الكبيرة.

ويجب ملاحظة أن ارتداء الحجاب كان يصادف في المدن الصغيرة والمدن "المقدسة"، في الاحياء التقليدية وفي الاحياء الفقيرة للمدن الكبيرة. ولكن طريقة ارتداء الحجاب تختلف بين وسط وآخر. حجاب الطبقات الدنيا لم يكن حجابا اسلاميا حقيقياً، وإنما ملبس يغطي في الوقت نفسه حالة البؤس التي تعيشها المرأة. وهو لايغطي الوجه أو الشعر بشكل كامل، وكان من علامات تأثير التقاليد أيضاً. أما حجاب الطالبات الاسلاميات (غير التقليديات) فكان يختلف تماماً عن هذا فهو ليس التشادور وإنما منديل رأس مع ثوب واسع. زي اسلامي جديد، سينتشر فيما بعد لتجنب التشادور. بعد قرار الحجاب الالزامي الذي اتخذه النظام الاسلامي.

لم يدخل مثقفوا اليسار والمناضلون الشيوعيون في مجادلات جدية مع هذا الاتجاه الديني الذي وجدوا فيه حليفا ضد الدكتاتورية. وبعضهم كان يتقاسم مع هذا الاتجاه النظرة العدائية "للمرأة على الطريقة الغربية". صورة ترتبط بذهنهم

مع "الميني جوب وأحمر الشفاه والغنج". الكائن "الطائش" الذي يصرف النفس عن السياسة والنضال الاجتماعي.

لنأخذ مثلا على ذلك، الصورة التي يقدمها كاتب يسراوي ايراني في ١٩٦٩: "المجتمع الايراني يسمح للرجال بأن يصبحوا أبطالاً، بينما المرأة الفارسية لن يكون بوسعها اكتساب المكان المشرف في تاريخ ايران كما كان حال زينب (ابنة الامام علي وفاطمة) أو جان دارك واليزابيث الاولى؛ فهن يكتفين باعداد الطعام والحلويات للامراء والاميرات. بالتأكيد، في حديثي اشير إلى المرأة الايرانية التقليدية، امرأة الماضي هذه، كما تروي الحكايات كانت تسمى "ست بيت" تعرف كيف تكون كريمة وعفيفة وتضحي من أجل محيطها. بينما المرأة الايرانية في المدن تخسر كل هذه الخصائص الانسانية البسيطة. من الغرب، تعلمت التخلص العنيف من قيد كل المباديء الاخلاقية، وبعد تركها التشادور، توجهت سريعاً نحو مرتبة "النساء المتعلمات في العالم" ونحن نرى كيف تقبع في وحل الابتذال"(٢).

ألا يوجد صلة بين هذه العبارات المرعبة التي يستعملها هذا المفكر اليسراوي الايراني تجاه المرأة الايرانية الحديثة والقلق العميق الذي يعيشه الأب، الزوج والأخ من المخاطر التي يحملها هذا "التخلص من القيود" لمستقبل زوجاتهم وبناتهم في مجتمع عذرية المرأة فيه وعفتها كانتا باستمرار تعتبران "رأس مال المرأة الأكبر"؟ وهذه النساء السافرات اللاتي يواجهن الحملات الشرسة، المشبعة بالاكاذيب والخوف كيف يمكنهن النجاة من الشعور بالذنب؟ هل يمكن أن نعثر على هذا الاحساس بالذنب في قبولهن ارتداء الحجاب في المظاهرات المناهضة للشاه؟ بكل الاحوال، يمكننا القول أنهن في معظمهن قبلن بسهولة بأمر الخميني معتبرات إياه، اجراء تكتيكياً ومؤقتاً. من ناحية أخرى، من الضروري الاشارة إلى أن معظم اليساريات اللاتي اعتبرن المرأة الايرانية الحديثة مستلبة تحت تأثير الثقافة الامبريالية، لم يطرحن أبداً قضية الحجاب

كمسألة تستحق التوقف عندها. واعتبرن ذلك من مشاغل النساء البرجوازيات. ومن هنا رضاهن بارتداء الحجاب في المظاهرات. أول قرار للحكومة "الالهية"، للنظام الاسلامي، كان اجبارية الحجاب لكل النساء. الامام الخميني، بعد ادانته حالة الترف والتغرب والضعف للحكومة المؤقتة، هاجم بعنف "عري" النساء وقرر على الفور الزامية الحجاب لكل النساء في الوظائف العامة. وهذا الخطاب يدشن في الواقع حقبة هيمنة الاسلام. حيث أصبح النضال "ضد الفساد" و "ضد التثاقف" عاماً لقيادة المجتمع على طريق تحقيق الامر الالهي.

وبذلك بدأ كل شيء بالنساء وبدا الحجاب بوصفه السلاح الاكثر فعالية في هذا الصراع الاساسي.

الزامية الحجاب، بالنسبة لنساء قبلن طواعية بالحجاب أثناء الثورة اتخذت على الفور طابع اعتداء على حريتهن وعلى حقوقهن. في الايام التي تبعت اعلان الخميني، كانت آلاف النساء في الشارع يهتفن "لم نصنع الثورة لنرجع إلى الوراء". وفي هذه التظاهرات تم الهجوم عليهن وشتمهن واتهامهن "بالعمالة للساڤاك"، وبالمومسات. وقد كان رد الفعل الرسمي يتحدث عن مظاهرات منظمة من انصار الثورة المضادة وعملاء الخارج. واعلن بنفس الوقت أن ارتداء الحجاب لن يكون اجباريا. آية الله طالقاني، المعتبر الأكثر تنورا بين العلماء، طمئن النساء محدداً بأن ملبس المرأة يعني كرامتها وأن العودة إلى الحجاب لاتعني وضع حق المرأة في العمل موضع شك. وحدد بأن التشادور ليس إلزامياً ووضع منديل على الرأس يكفي.

مهدي بازرغان، رئيس وزاء الحكومة المؤقتة تحدث في هذا المجال عن صعوبات ملازمة للحقبة التي يمر بها المجتمع الايراني بعد الثورة. "مرحلة انتقالية بين مرحلة الهجوم ومرحلة الهدم واعادة بناء النظام". بينما خميني لم يتوقف عن المطالبة باقامة النظام. هذا النظام الاسلامي "الذي طالبت به الثورة". وفي كل خطاباته بعد اقامة النظام الاسلامي: "من العاصمة الى الحدود، لم يكن

على أفواه الشعب سوى كلمة.. في كل مكان، حتى الاطفال يصرخون: نريد الاسلام. نريد الجمهورية الاسلامية، المرضى على اسرتهم في المشافي يطالبون بنفس الشيء. الشبيبة في المدارس وفي الجامعات، الرجال والنساء، كلهم يتبعون نفس المنطق". ولكن من يقول نظام اسلامي يقول قوانين اسلامية: "نريد بناء دولة اسلامية، لانريد أن نكون دولة غربية، ولانريد قضاة متغربين، لانريد لادستور موسكو ولا الولايات المتحدة. نريد دستوراً اسلامياً وعلى المختصين بالاسلام التدخل لوضعه. هؤلاء المختصون هم العلماء وغيرهم ممن يعرف جيداً الاسلام وكذلك السياسة وهم من نريد أن ينتخب. يعني أن الشعب يريد ذلك"(٣).

أما حصيلة العام الاول لاقامة النظام الاسلامي، فهي غنية بالعبر بشأن المرأة:

آذار (مارس) ١٩٧٩: اعتبرت النساء "غير مؤهلات" لاحتلال مناصب القضاء، وحسب القانون الاسلامي ابعدن عنه.

نيسان (ابريل) ١٩٧٩: ألغي قانون حماية الاسرة واعطي حق الطلاق للهيئات الدينية. وبذلك اصبح للرجل الحق في الطلاق دون موافقة المحكمة ويمكن "التمتع" بتعدد الزوجات الذي أباحه القانون الاسلامي(٤).

نيسان (ابريل) ١٩٧٩: تم تخفيض السن القانونية لزواج الفتيات من ١٨عاماً إلى ١٣عاماً(٥).

وجاء الدستور الاسلامي، الذي اعده جمع من "الخبراء المسلمين" ليقوي النضال ضد "الفساد". وحسب قانون القصاص، الذي تبناه الدستور، اعيدت عقوبة الرجم، وهي تطبق أكثر ماتطبق بشأن الزنى والمومسات. وفي الشارع، تطوف "دوريات الزهراء"(٦) لمراقبة ملابس النساء. وفي حال عدم التوافق مع القانون الاسلامي، يتم توقيف "المنتهكات" والحكم عليهن بأحكام قاسية كالجلد

أو السجن.

كل مقاومة تقوم بها النساء ضد هذه القوانين والاجراءات تم سحقها بالعنف الأكثر شراسة، وهذا ما حدث لكل النساء اللاتي عارضن النظام الاسلامي: "التمرد على الحكومة الاسلامية مدنس وانتهاك للمقدسات، وهو أكبر الخطايا"(٧) لم يتوقف الخميني عن الترديد خلال عشرة أعوام من حكمه الاسلامي في ايران.

العدد الكبير للمعتقلين والمعتقلات السياسيين والقائمة الطويلة بأسماء المعارضين الذين اعدموا، يعكس بآن معاً حجم المقاومة والارهاب.

اليوم، ليس بامكاننا مقابلة امرأة واحدة بدون حجاب في ايران في الطريق العامة ومع ذلك، تتابع "دوريات الزهراء" مراقبة النساء في الشوارع، لأنه كما يبدو فإن عدداً كبيراً من النساء لايملن إلى احترام قواعد الحجاب كما يجب ويرتدين الحجاب بطريقة "طائشة" و "ملعونة"، مستهزئات بهذا المبدأ الاسلامي. في الواقع، فان قضية المرأة المحجبة بشكل سيء، تنطرح كمشكلة اجتماعية-سياسية يواجهها نظام الخميني كل يوم.

في صحيفة كيهان اليومية وفي أحد أعداد ١٩٨٥ يعلن رفسنجاني، الرئيس الحالي لايران: " اللاتي لايرتدين الحجاب يحاربن الاسلام. وهن يرتكبن رذائل النظام القديم. وانشاء الله، عندما يعم الاسلام المجتمع هذه الفضلات ستتحطم من جراء ذاتها" وفي نفس الصحيفة يعلن عدد أول آب (اغسطس) ١٩٨٥: " تم تشكيل لجنة خاصة من عدة وزراء ومسؤولين كبار والحاكم العام لوضع الاجراءات والوسائل الضرورية للنضال ضد عدم احترام الحجاب الاسلامي والحجاب السيء". وباعلان هذا النبأ أنذر ميريمادي حاكم طهران النساء بأن عدم احترام النساء للحجاب سيدفع إلى تحريك "حزب الله" من جديد. وفي هذه الحالة، أضاف، ولايمكن لوزير أن يصدر عقوبة بحق حزب الله الذي يزعج النساء. لأنه حسب القانون الجنائي الاسلامي، المادة ١٠١، فان هذا يشجع

الأعمال السيئة.

وفي المناسبة الحكومية الاسبوعية لصلاة الجمعة في ٢ أيار (مايو)١٩٨٦، أنذر رفسنجاني النساء المحجبات بشكل سيء بالقول: "في عدة مناسبات، أعلن الشعب عن استيائه من مسألة النساء المحجبات بشكل سيء، وكما شاهدتم، فقد نزلت جموع حزب الله الى الشارع. ومن هذا المنبر وفي صلاة الجمعة طلبنا منهم العودة إلى منازلهم حتى لاتقع مشاكل. ووعدنا بأن النساء المحجبات بشكل سيء سيرجعن شيئا فشيئا إلى الصراط المستقيم، ولكن هذا لم يحدث. ويبدو أن هؤلاء النساء بحاجة إلى العنف " واضاف: "لقد سن مجلس القضاء الأعلى قانوناً يقضي، في حال عدم التأقلم، بارسال النساء إلى معسكرات التأديب. وسيتكفل أزواجهنّ بدفع المصاريف ولن تدفع الدولة شيئاً من موازنتها. وقد فكرنا أيضاً بوضع معدات للعمل في هذه المعسكرات"(٨).

في عدد ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩٨٦، تستشهد صحيفة "دجانبوري اسلامي" بموظف موالٍ للحكومة يقول: "في معظم الادارات النساء الموظفات لايرتدين الحجاب بشكل صحيح. كيف يمكن، بعد سبع سنوات ونصف من الثورة، أنه لم يوضع بعد موضع التطبيق أي قانون يلزم المرأة باحترام هذا المبدأ؟".

المجلة الاسلامية النسائية رانزي روز (المرأة اليوم) في عدد نيسان (ابريل) ١٩٨٧ تورد بأنه "خلال الاسبوع الممتد من ١٨ إلى ٢٥ نيسان ١٩٨٧، أن ١٦٥ امرأة متهمة بوضع الحجاب بشكل سيء والسلوك المخجل حكم عليهن بالجلد مع احكام بالسجن تصل الى عامين ".

الأمر الذي يظهر أنه بالرغم من الحملة التي ينظمها نظام خميني لنشر الحجاب بين الايرانيات وبالرغم من العقوبات القاسية المطبقة بحق النساء المحجبات بشكل سيء. هؤلاء النساء المتمردات يتابعن بث الاضطراب في "النظام المقدس". ومن هنا هذا الاصرار على رقابتهن بشكل يومي وأفعال العنف

ضد نساء يبدو من شعرهن خصلة صغيرة أو يخترن منديلاً أو ثوباً لونه "صارخ". أو من تسمح لنفسها بأثر أحمر شفاه الخ. ولكن ليس علينا أن ننسى، أنه بإقامة هذه الرقابة الصارمة على النساء، يمتلك النظام وسيلة فعالة ومستمرة بحق السكان. وهكذا، كلما أراد فرض جو من "التخويف" لحفظ الهدوء، يعزز بشكل فاضح هذه الرقابة العنيفة بالضغط عبر جمهور "حزب الله" الذي يتدخل دائماً بصرخة: "الموت لمن لايحترمن الزي الاسلامي". ولم تعد هذه المسألة تخفى على الصحفيين: "المظاهرات من أجل الزي الاسلامي تتوافق عموما مع أحداث هامة في مجال السياسة الداخلية"(٩)، يكتب مراسل صحيفة "الموند" في حديثه عن مظاهرة لحزب الله من أجل احترام الزي الاسلامي. إذن بالامكان القول أنه من العبث تفسير الحرب العنيفة ضد النساء المحجبات بشكل سيء كتظاهرة لهوس المتعصبين الاسلاميين، وأكثر من ذلك، فهي عملية هادفة الى بقاء النظام الاسلامي في السلطة. وبنفس الوقت، ليس بالامكان تفسير خصلة الشعر التي تخرج من تحت الحجاب رغم معاناة النساء إلا كعلامات لمقاومة النساء للسلطة الاسلامية.

في صفوف المجموعات المعارضة للنظام الاسلامي، والتي اضطرت للدخول في السرية في اقل من عامين من قيام السلطة الجديدة. كان وجود المرأة ومازال مثيراً للانتباه. وفي القائمة الطويلة للمعارضين الذين أعدموا في الفترة الواقعة بين ١٩٨١-١٩٨٥ (١٠)، نجد أسماء ١٥٤٤ امرأة (وهذه القائمة ليست كاملة، وأيضاً فهي لاتشمل المناضلات اللاتي قضين في القتال ضد النظام في كردستان). إن مقارنة بين عدد النساء اللاتي أعدمهن النظام الاسلامي مع عدد النساء اللاتي اعدمهن النظام الفاشي الايطالي (٦٢٣ اعدمت أو قضت في القتال)(١١)، لاتظهر فحسب الرعب الذي يمارسه النظام الاسلامي بحق معارضيه وإنما أيضاً، الوجود الفاعل للنساء في صفوف تنظيمات المعارضة.

نساء حزب الله

ليس من المفارقة القول، أن النظام الاسلامي غير قادر على البقاء في السلطة بدون الدعم الذي يقدمه له قطاع النساء المعروف بنساء حزب الله.

فهؤلاء النسوة كنّ ومازلن احد أعمدة النظام الاساسية، وهن يتواجدن في قطاعات اجتماعية مختلفة، في الجامعات وأماكن العمل، ويشاركن بشكل فاعل في المناسبات والمظاهرات التي تنظمها السلطة، ويتواجدن مع الرجال في مؤسسات القمع (السجون) وفي "دوريات الزهراء" ويقدمن خدمات جلّى للنظام. بالنسبة لعدد كبير من نساء حزب الله، الحجاب هو "جواز مرور"، إنه يعني السماح المنزلي والعائلي بالتعرف على حياة مختلفة، ونشطة، ومهما يبدو ذلك غريباً فإن الحجاب يرمز عند هذه المجموعة لحرية ما في العبودية.

هذا التعارض الجوهري هل هو وراء مطالبة هذه النساء بوضع أفضل لما تقدمه السلطة البطرياركية الدينية؟ من الصعب اعطاء اجابة سريعة على ذلك. ونكتفي بالاشارة إلى المماحكات اللانهائية حول تفسير النصوص المقدسة التي تخوض بها بعض الواعيات من نساء حزب الله والاوساط الحكومية. ومن المؤكد أنه في نظام يقوم على "ولاية الفقيه" يبقى حق تدوين الاوامر والحقوق حكراً على الرجال، لأن الوظائف الدينية ممنوعة للمرأة. وهكذا تعيش المرأة الاصولية أزمة دائمة، فمن اللحظة التي تطرح فيها قضية المساواة في الحقوق، تجد نفسها في الطريق المسدود: حيث عليها أن تقبل بوضعها الاسلامي الذي تقدمه السلطة الدينية الرجالية، أو أن تفصل قضية الايمان عن قضية القانون وأن تتجاوز الكادر الايديولوجي لتحركها في سقف السلطة للتمكن من الحديث في المساواة في الحقوق.

إن تجربة المرأة الايرانية، جديرة بأن تتابع من باقي نساء منطقتنا، والمأساة التي نعانيها، تعطي درساً لكل النساء والرجال... للحذر من فخ الاصولية

القاتل.

1- Morgan Shuster. Strangling of Persia, London, Ed. Tofisher, 1912.

2- Reza Baraheni: L´histoire masculine, la culture dominante et la culture dominée.

صدرت مقالات هذا الكتاب في ١٩٦٩، منعته الرقابة بعد طبعه في ١٩٧٢ وأعيد طبعه في ١٩٨٤ عن منشورات نانشي ايڤال، ايران.

٣- خطاب خميني للمشاركين في مؤتمر "حرية غود". نشر في اوراق النور، طهران، طبعة الوزارة، ١٩٨٢، الجزء١٢.

٤- حسب القانون المقر في ١٩٦٧، لايحق للرجل التزوج من امرأة ثانية دون إذن زوجته الاولى، ويحتاج للطلاق إلى محكمة خاصة، ومع ذلك في حال كون المرأة عقيمة، فهو لايحتاج لهذه الموافقة.

٥- يصعب رصد جملة الاجراءات في هذه الدراسة.

٦- الاسم الثاني لفاطمة بنت النبي محمد.

٧- أوراق النور، الجزء العاشر.

٨- مأخوذ عن ايران التحرر، العدد ٢٠٧.

٩- صحيفة الموند، ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٨٤.

١٠- هذه القائمة التي اعدتها منظمة "مجاهدي خلق" تشمل أسماء ١٢٠٨٦معارض أعدم من قبل النظام في الفترة بين ١٩٨١-١٩٨٥.

11- Maria Antonietta Macciocchi, Elements pour une analyse du Fascisme (Vol.I), V.G.E, 10-18, 1976.

الحجاب والتحليل النفسي

عدد جيد من النساء في العالم العربي والمهجر يهتم اكثر فأكثر بالبعد النفسي للمشكلات المجتمعية العربية. "نون" نوال السعداوي تتعدد وتتجذر. ليليا لابيدي تتناول الجنس والتقاليد، فاطمة قاسم دخان تتناول الآلام النفسية للمرأة، فيوليت داغر تبحث في موضوع التثاقف، وأمينة عيوش في تفكيك حجب الهوية الخ. وليس هذا سوى غيض من فيض. فامرأة اليوم والغد تريد المشاركة الكاملة والوجود المتكامل. القارىء العربي لايعرف الصديقة أمينة وهذا الكتاب فرصة للتعرف عليها. تجاور أمينة عيوش التعليم الجامعي مع العمل الميداني في مركز للاضطرابات النفسية للمهاجرين وفي احد المشافي. طاقة عربية واعدة، أمينة تجمع أيضاً عمق التحليل وجرأة الطرح. هذا النص المترجم، الذي خصتنا به، يحتاج إلى القراءة المعمقة قبل اصدار أية أحكام مسبقة. ومن الواجب تركه يلمس الوعي واللاوعي لملاحقته في مغامرته واعطائه المجال لملاحقة القارئة والقارىء في هواجسهما الباطنة.

الحجاب والجنس والهوية

أمينة عيوش

منديل، حايك، تشادور، خمار.... كم من التسميات أعطيت للحجاب "للتعريف عن نفسه"، ان جاز التعبير. هذه التسمية سنأخذ بها هنا بسبب شيوع استعمالها، لأنه بطريقة أو بأخرى، يتعلق الامر بحجب شيء ما، فيما يؤدي احياناً لمنع رؤية أي شيء سواه، احترازاً من اختراق النظرة .

على سؤال: "من أنت؟" الكامن في كل نظرة، يعطي الحجاب إشعاراً بعدم الاستلام: "لن تسبر كنهي"، "لن تستولي علي".

في الواقع، سواء عرّفناه بصلته بما هو محجوب، مستور (وهنا نشعر بأن كل شيء يجري من وراء الحجاب) أو بالرسالة التي يحملها، التي يوحي بها، فإن ما يمكننا سماعه هو: "نحن نرتدي جميعاً نفس البذلة، لاتتميز واحدتنا عن الاخرى، نحن نرفض الفردية واللقاء الشخصي. وباختصار، أية دلالة غير تلك المتعلقة بجنسنا، نحن من نفس الجنس، جنس لايمكن ولوجه، جنس نحمل رمزه على رؤوسنا، بل على وجوهنا، هذا ما يميزنا، والخلاصة، الحجاب يعبر عن دلالتنا، وليس لنا مانقوله بعد ذلك، لاشيء أكثر من ذلك".

لأنه أيضاً حجاب الكلام، ونحن نعرف جيداً أهمية الصمت كإحدى الخصائل الاساسية للانوثة. الحشمة (العفة، التكتم، التحفظ..) تعتبر قيمة اساسية تستدعي سلوك إمحاء، حالة تخلٍ عن التعبير، عن الرغبة والتفكير

الخاص، حالة خضوع.

يتعلق الحجاب إذن بكلا المسألتين الجوهويتين: الجنس والهوية المرتبطتين بقوة هنا. هوية المرأة وهوية الجماعة تندمجان بشكل لايمكن فصله، وترتبطان بالجنسانية الانثوية.

وقبل التعرض بشكل أكثر خصوصية لقضية الهوية، لنتابع تساؤلاتنا حول الدلالة الجنسية للحجاب. في الواقع، مهما كانت طريقة ارتدائه هنا أو هناك، فهو يختزل دائما، خاصة في نسقه المتماثل، كل امرأة إلى هويتها الجنسية المحضة: امرأة une femme، بل كما نراه، المرأة La femme، بل عن المرأة de la femme.

النظرة التي لاتسمح لها بالافتتان، بالانزلاق، بالتخدر في هذه البذلة تجد نفسها في حالة احتراس، تحريض... اضطراب. لأن الحجاب، وإن كان بالطبع يخفي ويختلس، فهو أيضاً يسمح بالرؤية. نحن نعرف أن ما هو سري، محمي، محجّب لايكف عن إعطاء اشارات تمثله، ترمز إليه، وباسلوب جلي وفاضح أحيانا. وهذا نتيجة للعلاقة التي تبدو لنا قائمة بين الجنس النسائي والحجاب: النظرة التي تستقر على الحجاب، على سطح الجسم، على الرأس، رؤية ما هو بآن معاً، الاكثر سرية والاكثر حماية، والذي هو في هذه الحالة جنس المرأة، وبشكل أكثر تحديدا، غشاء "البكارة"، هذا الحجاب الآخر.

"لايمكن النفاذ اليّ"، تقول له إذن، لابسة الحجاب.

يمكن الاستدلال هنا بأوالية قريبة من هذه، تتعلق دائماً بالجنسانية الانثوية وغشاء البكارة. حيث في بعض المناطق، وعندما تشهد في صبيحة ليلة الزفاف بقعة الدم على فضّ البكارة -وبالتالي على وجود عذرية سابقة- يُعرض على مرأى من الضيوف سروال الفتاة، السروال الذي يحمي، يستعمل في هذه الحالة بوصفه الموضوع الذي يبرز عليه الدم، للوصول إلى النتيجة التالية: فض البكارة يجب أن يحدث على السروال الموضوع بشكل مسبق على الفراش. وهكذا

فالجنس النسوي، هو في آن معاً، في الداخل، محمي، محجّب وفي الخارج، تحت رقابة الجميع، باعتباره قضية الجميع. والعذرية هي محور تربية الفتاة، وللجميع الحق في حمايتها حتى الاخوة الاصغر في العائلة، وابناء العم والجيران، كلهم لهم حق النظرة والمعرفة.

ان وجود أو عدم وجود عذرية سابقة للزواج يشار إليها في اجراءات الزواج، في بعض البلدان العربية-الاسلامية، وعندما تتزوج الفتاة من أجنبي، بالتأكيد اعتنق الاسلام، عليها القيام بفحص طبي واحضار شهادة مصدقة لتأكيد أو نفي وجود العذرية هذه. سواء ارتدت الحجاب عذراء أم ثيّب. فإن الحجاب شهادة على عذرية كل امرأة في نظر الرجل الذي لايملكها. إنه يحمي المرأة من هذا الرجل، ولكنه ايضاً يحمي الرجل من المرأة. "بدوني، يقول الحجاب، فانك تجازف برؤية المرأة والوقوع في الفتنة، الافتتان، الجنون، الاضطراب. تصبح غير قادر على لجم الاندفاع العنيف لرغبتك التي، وإن قادتك الى الاغتصاب، فلك أعذار مخففة، لأن الجانية هي تلك التي قدمت نفسها سافرة لك".

الفتنة، الامتحان الجهنمي، الشيطاني، يقدم غالباً للرجل في شكل امرأة. وبذلك فإن الحجاب موجود لأن الجنس النسائي في خطر ايلاج مستمر. خطر اغتصاب، ولأن كل رجل معرض لمخاطر الفتنة.

في بعض المناطق، نقول عن المرأة التي فضت بكارتها: "طاحلها اللثام" (سقط حجابها). بتعبير آخر، يمثل الحجاب الجنس أو يحميه بهذه الطريقة، وباقامة هذا التبادل فهو يجعل من المرأة المحجبة امرأة فاجرة. وإذا كانت المومسات العربيات يرتدينه دائما، فلم يكن ذلك للتخلص من البوليس وحسب. فهن لم يغفلن يوما عن الاشباع الجنسي المفرط الملازم لدلالة الحجاب. ففي المغرب، لم يكن يحدث تصويرهن بنفس الشغف كما كان في الحقبة الاستعمارية. محجبات، نصف محجبات، سافرات تحت النظرات الانتقامية لجهاز التصوير الذي كان يصطدم بالحجاب الكثيف والمعتم والمغفل لباقي

النساء. وحول هؤلاء ايضاً، نحن نعرف عدد كيلومترات الافلام التي استهلكت في تلك الفترة والتي لم تسمح بمس هويتهن، كلهن، بحجابهن الابيض، نموذج أصلي محتذى. "ليست بالضبط نفس المرأة وليست بالضبط امرأة أخرى"... كل ماهو منظور منها آنذاك عين، عينها في مقابل عين المصور وكل واحد منهما وراء شريط تصويره.

هذا لأن الطابع الجنسي للحجاب يصدم أكثر، لأنه يُسوّي، مقابل نظرة غريبة. في بلد لاتنتمي إلى هذه الممارسات، الدلالة الجنسية للحجاب كما هي دلالة كل تقليد تصبح مثيرة خارج فضائها الثقافي. الحجاب يثير الانتباه أكثر، يتحداه، يجعله يستحضر الفعل المعاكس: نزع الحجاب.

وفي حدوده الخاصة به (وبكل الاحوال قبل أن يأخذ مفهوماً سياسيا مباشراً) يصبح نتيجة لما سبق؛ بتعبير آخر، أمراً مفروغاً منه، لايتم طرحه كموضوع تساؤل، دلالته لم تكن يوماً بحاجة إلى توضيحات أو تساؤلات كما هو الحال اليوم.

***

في التظاهرة التي جرت في باريس من اجل ارتداء الحجاب، كان حبل من الرجال يشكل سوراً حول النساء المحجبات، شريط مغلق لم يُسمح بولوجه إلا للنساء الصحفيات. ماذا يقول هذا النسق المحكم؟ " نحن نرفض أن يلمس رجالكم نساءنا، عليكم قبل ذلك اختراق الطوق، والمرور من فوق أجسادنا، إذا ولجتم إليهن ولجتم بنا جميعاً".

وفي هذا النسق المحكم بدقة، يتواصل جنس المرأة، هويتها وهوية الجماعة، القضية التي سنتناولها الآن بعد استعراض الدلالة الجنسية للحجاب.

لقد رأينا آنفاً، إلى اي حد يمكن لهذه الهوية، في مواجهة نظرة الآخر، أن

تغوص في التماثلية عبر الحجاب، وليس بالامكان تناولها إلا انطلاقاً من الجماعة التي كما نعرف، لها المكانة الاهم في هذه الثقافة، وعلى حساب المرأة أكثر مما هو الأمر للرجل. فإذا كان من غير الممكن للرجل أن يتحدد إلا عبر الآخرين المكونين للجماعة، فإن المرأة فردية أقل أيضاً لأنها على الصعيد الروحي- الرمزي ترمز للجوهر، جوهر الجماعة. ولذا فإن فرديتها يجب أن تنمحي بالضرورة. فإذا كان شرف المرأة هو الركن الاساسي لشرف الجماعة، فإن ولوجه، تحطيم للجماعة، وللأم-المبدأ المقدس.

أم (الوالدة) وأمة (الجماعة) لهما من التقاطعات والامتدادات الدلالية مايجعلهما تختلطان تماما.

الأم، الوالدة، أو ايضاً مايجمع، مايضم هي ايضاً أصل كلمة إمامة (تفوق، مسؤولية) ومنها كلمة إمام. الامة تعني الجماعة، الدين، الشرعة، الطاعة، رجل... عالم. ولكن من المفيد أيضاً ملاحظة أن أم وأمة تعنيان الأم، الأصل، المبدأ، النموذج الأصلي المحتذى La prototype .

الروابط العائلية تدعى "صلة الرحم" ونفهم أكثر أنها بالاتساع تشير عموما إلى روابط الدم، القرابة. "كلنا أخوة في القبيلة" أصبحت منذ الاسلام "كلنا أخوة في الاسلام".

الحجاب يحدد أيضا فضاء الرحم، هذا الداخل المحمي من خارج يهدد الجماعة. ويلاحظ دائماً، ظهور أو انبعاث الحجاب في المجتمعات التي تشهد تحولات. تمدين الريف الذي اعتاد غالباً على فصل الجنسين، مثلاً، ينتج تشابكاً أكبر بين الفضائين الذكري والانثوي. هنا يسمح الحجاب بالتجول بين الاجانب*، الذي يشكل خطر التطاول والاغتصاب.

القاعدة أن نساء الجماعة لايتزوجن من الآخر، فهن محجوزات لرجال

الجماعة، بل رجال العائلة، وفقاً لتقاليد الزواج الداخلي الخاصة بهذه الجماعة. الزواج الانموذج هو زواج ابن العم والازواج التقليديون ينادون بعضهم غالباً (اخت، أخ، ابن عم، بنت عم...). العلاقة الأخوية عموماً علاقة غاية في الاهمية: (الاخوان المسلمون، أخوة في الله....). يقول ابراهيم جد العرب واليهود في سفر التكوين: "وبالحقيقة أيضاً هي اختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة (الاصحاح ٢٠ ، ١١).

ومن التعبيرات المستعملة في تربية فتاة مسلمة، ليس من النادر أن تسمع في يوم من الايام هذه العبارة: " حذار من كل الرجال، حتى من اخوتك وأبيك". وهذا ما يمكن أن يقوله الأب نفسه.

وما أكثر اللاتي يحدثنك عن نظرة الاب التي تتباعد فجأة عند وصولهن إلى سن البلوغ.

البعض يقول بعدم مقابلة نظرة الاب أو الأخ الأكبر منذ هذا اليوم. فلا أحد من الرجال في مأوى عن الفتنة.

في يوم الزواج، تطلب عائلة الزوجة الشابة للزوج الشاب أن يكون أخاً لها..

في منطقة جنوب المغرب أثناء الأعياد، تغني أبكار القبيلة في سن الزواج وهن محجبات بحجاب واحد ويتبادلن مع المغنين أغاني حب هي في القسم الأكبر منها عفوية ودون اعداد مسبق، دون أن يعرف المغني إن كانت "اخته" أو أخوها في الحجاب الاخر.

ولأحد المغنين-الموسيقيين الحق بأن ينزع الحجاب وأن يلج باسلوب يتواصل فيه مع المغنية دون أن يعرف بقية الرجال أية امرأة هي.

هذا لايعني أنه في هذا الحفل يمكن لرجل أن يتزوج اخته، وانما يعني كمحجبات، تتعادل كل النساء. اللعبة الغامضة التي تجري تترك للخيال لحظة يتصور فيها بأن كل النساء مباحة، حيث يتعطل في زمن الأغنية، تحريم السفاح

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

الأخوي.

كثيرة هي الأغاني، هنا وهناك، التي تسمي بالحبيب الأخ (ياحبيبي ياخويا..) حجب، احتفظ لنفسه وأيضا امتنع عن الرؤية. ستر مالايمكن تحمله، والذي تحت وإياد الفتنة يتعارد هذه المرة في بعد مرعب ومذعر. استيهام المهبل المسنن يبقى حيا كما هو حال أشكاله الميثولوجية. كعائشة قنديشا، ذات الوجوه المتعددة التي تربط بين النسوية والرعب، النسوية والموت، والتي تمثل السلطة الكامنة في كل امرأة، إنها تنتمي إلى عالم الجنون، مغربة، فاتنة، حيث جمالها المطلق لايضاهيه سوى دمامتها المفرطة.

امرأة – امرأة، امرأة – رجل وامرأة – حيوان، حيث النظرة إليها تفقد كل سيطرة وتضيع كل حدود، تبعث على النفور، وتثير الرغبة التي يجب كبحها بأي ثمن كي لاتبتلع. تلقاها غالباً قرب مصادر الماء، الآبار، الأنهار، العيون التي يجب تجنبها عند الهبوط وعند الشفق.

هناك فوبيا (رهاب، هلع) "ثقافية" من الثقوب خاصة عندما تشكل مصدراً للمياه، تترافق بشعائر متعددة: عدم القاء الماء الساخن في الثقوب (مجاري المياه)، صب الحليب الفائر من وقت لآخر الخ. هذه الفوبيا ليست بمعزل عن الاعضاء الجنسية النسوية ونقل نسائي الذي تثيره نظرة عائشة قنديشا.

من الافضل وضع حجاب على هذا الثقب.

---

* أعطي مثلاً حادثتين رواهما لي صديقي حسن مناع. الأولى قصة والدة لطف الله سليمان التي نزعت الحبرة اثناء الحركة الشعبية في مصر ١٩١٩ وعبرت عن ذلك بالقول: "الانكليز راحوا، نحن بينا وبين بعض مافيش حاجه له". وقصة المرأة الجزائرية التي انتحبت بعد تأميم مزرعة بورجو في الجزائر بعيد الاستقلال في مجلس التسيير الذاتي واعتبرت القصة ونزعت الحجاب كرمز "بين اهلها"، حول مسألة الاجنبي والنحن.

الفصل الثاني: لقطات تاريخية سافرة

بالامس منعوا مدارس البنات

في مطلع هذا القرن، وحيث كان لرجال الدين نفوذ، كان تعليم المرأة ممنوعاً. أوضح مثل على ذلك تعطيه السلطة السعودية-الوهابية. ففي حين دخلت مدارس البنات الى مصر منذ ١٨٣٥، فقد حارب رجال الدين الوهابيّون كل محاولة لتعليم المرأة وقاوموها بكل الوسائل. هل من الضروري التذكير بأن اول محاولة لادخال التعليم غير الديني مع تشكيل ادارة للتعليم العام (١٩٢٧-١٩٣١) انتهت بالاستقالة المتتابعة لستة اشخاص كلفوا بها تحت ضغط رجال الدين. وان تعليم المرأة بقي موضوع تحريم حتى عام ١٩٥٦ حيث قامت الاميرة عفت زوجة الملك فيصل بفتح مدرسة للبنات كان فيها ١٥ طفلة، وان نظام تعليم النساء حتى اليوم يخضع لقيود وعملية انتقاء صارمة باشراف رجال الدين، هذا عدا مستوى التعليم ورقابتهم عليه. فماذا لو وافق المتنورون على شروط المتزمتين باسم احترام التقاليد والهوية الاصلية؟ بأمراك نفط هؤلاء تعود الاصولية الثروية إلى الوجود لتحطم انسانية الانسان اليوم.

رجال الدين الشيعة لم يكونوا أكثر تفتحا من اترابهم الوهابيين. وحتى عام ١٩٢٩ حاربوا فتح اية مدرسة للبنات في مدينة النجف العراقية. وفي هذا العام طالب الاهالي بفتح مدرسة لبناتهم، واحتد الصراع بين رجال الدين وسكان المدينة وقد تبنى معركة الاهالي عدد من المثقفين المتنورين ودخل الشاعر محمد مهدي الجواهري في المعركة إلى جانب الاهالي وضد الانغلاق والتعصب ونشر في

جريدة "العراق" (٧ آب ١٩٢٩، العدد ٢٨٣٥) قصيدة بعنوان "على المكشوف حول مدرسة البنات النجفية".

وكالعادة، تطورت معارضة رجال الدين المتزمتين إلى مقاومة شديدة ارتدت كالعادة أيضاً رداء الدين، وحاولوا التهجم على الاصلاحيين والمتنورين ومقاومة فتح المدرسة بكل الوسائل. فكتب الجواهري قصيدة ثانية بعنوان "لهفرأها الرجعيون". فيما يلي نص القصيدتين، منشوراً سياسياً-اجتماعياً يحتفظ باهميته حتى اليوم:

علّموها

محمد مهدي الجواهري

علّموها فقد كفاكُمْ شَنارا وكفاها أنّ تحسَبَ العلمَ عارا
وكفانا من التّقهقُرِ أنّا لم نعالج حتى الأمورَ الصغارا
هذه حالُنا على حينَ كادتْ أممُ الغرب تسبقُ الأقدارا
أنجب الشرقُ جامداً يحسبُ المرأةَ عاراً وأنجبت طيارا
تحكم البرلمانَ من أمم الدنيا نساءٌ تمثّلُ الأقطارا
ونساء العراقِ تُمنعُ أنْ ترسمَ خَطّاً أوْ تَقْرَأَ الأسفارا

***

علّموها وأوْسِعوها من التّهذيب ما يجعلُ النّفوسَ كبارا

ولكي تُحسنوا سياسةَ شعبٍ بَرهنوا أنّكم تسوسون دارا
أنّكُمْ باحتقاركُمْ للنساء اليومَ أوسعتُمُ الرّجالَ احتقارا
أفمنْ أجلِ أنْ تعيشوا تُريدونَ لثلّثَيْ أهلِ البلاد الدّمارا
إنّ خيراً من أن تعيشَ فتاةٌ قبضةَ الجهلِ أنْ تَموتَ انتحارا
أيُّ نفعٍ من عيشةٍ بين زوجين بعيدينِ نزعةً واختبارا
وخلالَ البيوتِ لاتجدون اليومَ إلاّ خصومةً وشِجارا

***

اختياراً بالبنت سيروا الى صالحها قبل أن تسيروا اضطرارا
فعلى قدر ما تزيدون في الضغط عليها ستُوجدونَ انفجارا
وَهَبوا مرةً نجحتم فلا تنخدعوا، سوفَ تُخذلون مرارا
ولدى الأمر لا محالةَ مغلوبٌ ضعيفٌ يقاومُ التّيارا
وأرى جامداً يصارعُ تجديداً كقَزْمٍ مصارعٍ جبّارا

***

أينَ، عن حرمة الأمومة داستْها وحوشٌ، المصلحونَ الغَيارى
قادة للجمود والجهلِ في الشرق على الشعب تنصُرُ استعمارا
لو بكفي ملأت دور المحامين عن المرأة الجْهولة نارا
ازدراءً بالدينِ ان يُحسَبَ الدّينُ بجهلٍ وخزيةً أمّارا
وبلاء الأديانِ في الشرق هُوجٌ باسمه ساموا النفوسَ احتكارا
تُزدَرى رغبةُ الجماهيرِ في الشرقِ وتُنْسى إنْ خالفت أنفارا

***

أسلموا أمرهم إلى "الشيخ" عُمياناً وساروا يقفونه حيثُما سارا
وامتطاهم حتى إذا نالَ بغياً خَلَعَ اللُّجْمَ عنهُمُ والعِذارا
نَبذَ القشْرَ نحوهم باحتقار وحَوَى اللبَّ وحدَهُ والخيارا
دفعوا غُنْمَهم إليه وراحوا يحملون الأثقالَ والاوزارا

عاطلات نساؤهم ونســـــاءُ "الشيـخ" حُلّينَ لؤلؤاً ونُضـــارا
وإذا جاءت الشدائدُ تَتْـــــــرى قدّموهم وولّوا الأدبـــارا

***

حالةٌ تُلهب الغيَارى وتستصرخ غُلْبَ الرجـال والأحـــــرارا
ان بينَ الضُلوعِ، مما استغلوه بتضـليلهم، قـــلوباً حـــرارا
يُعوزُ الشعبَ كي يسيرَ إلى المجد حثيثاً وكي يُوَقّى العـثارا
حاكمٌ مطلَقٌ يكون بما يعرف مـــن خير شعـــبه مختـــــارا
يتحرّى هذى الشنائعَ في الشرق بنفسٍ لا تَرهـبَ الأخـطارا
إن يُطَعْ كان مُشفقا، واذا ما أحوجَوا كان فاتكا جـــــزارا
أو فلا يُرتَجى نهوضٌ لشعبٍ ان يُقدّمْ شبـراً يُعَقْ أشبـــارا

ليقرأها الرجعيون

محمد مهدي الجواهري

ستَبقى طويلاً هذه الأزَماتُ إذا لم تُقَصِّرْ عُمْرَها الصِّدَماتُ
إذا لم يَنَلْها مُصلحونَ بواسلٌ جريئونَ فيما يَدَّعونَ كُفاة
سيَبقى طويلاً يَحملُ الشعبُ مُكْرَهاً مَساوىءَ مَنْ قد أبْقَت الفَتراتُ
قُيوداً من الارهاق في الشرق أُحكِمَتْ لتسخير أهليه، لها حَلَقات
ألمْ ترَ أنَّ الشعْبَ جُلُّ حقوقه هي اليومَ للأفراد مُمتلكات؟
مشتْ كلُّ جارات العراق طَموحةً سراعاً، وقامَتْ دونَهُ العَقَبات
ومنْ عَجَبٍ أنَّ الذينَ تكفَّلوا بانقاذ أهليه هم العَثَرات
غداً يُمْنَعُ الفتيانُ أنْ يتعلَّموا كما اليومَ ظُلماً تَمْنَعُ الفتيات

***

أقولُ لقومٍ يَحْمَدونَ أناتَهم وما حُمِدَتْ في الواجبات أناة:
بأسرعَ من هذي الخُطَى تُدرَكُ المُنَى بطاءً لَعَمْري منكمُ الخُطُوات
وما أدَّعي أنَّ النهوضَ صالحٌ متى صَلُحَتْ للناهضِ النزوات؟!

ولكنْ أرجّي أن تقومَ جريئةٌ لصـــــدِّ أكُفِّ الهادمـــــين بُنـــاة
أريدُ أكُفّاً مُوجعاتٍ خفيفـةً عليـــها -متـى ما شـاءت- اللّطمـات
فانْ ينعَ أقوامٌ عَليَّ مقالتي ومـا هي إلاّ لوعـةٌ وشَكـــــــاة
فقد أيقنَتْ نفسي، وليسَ بضـائري بأنّيَ في تلكَ العُيـــون قَذاة
وما النقدُ بالـمُرضي نفوسـاً ضعيـفةً نهدٌ قواها هـــــذه الحَمَلات
وهَبْنيَ ما صلّتْ عليَّ معاشرٌ تُباعُ وتُشـرى منهـــــمُ الصّلوات
فلو كنتُ ممّنْ يطعمونَ بمالِه لعـادَتْ قداسـاً تلـــــكمُ اللعنات
دَعُوها لغيرى علّكُمْ تحلبُونَـها ستُغنيـكمُ عن مثـــــليَ البَقَرات
وما هيَ إلاّ جمرةٌ تُنكرونَها ستأتيـكُمُ من بَعـــــدها جَـمَرات
قوارصُ قولٍ تقتضيها فِعالُكُمْ وتدعو "الهَنات" القارصـاتِ "هَنات"

***

وإنْ يُغضبِ الغاوينَ فضحُ معاشرٍ همُ اليـومَ فيه قـــــادةٌ وهُـداة
فما كانَ هَذا الدينُ، لولا ادّعاؤهم لتمتازَ في أحـــكامـه الطّبَقات
أتُجبى ملايينٌ لفرد، وحولَهُ ألوفٌ علَيـــهمْ حَلّت الصّـــــدقات؟!
وأعجبُ منها أنّهم يُنكرونَها عليهـــم، وهـمْ لوَ يُنصـــفونَ جُباة
قذىً في عيونِ المصلحينَ شواهقٌ بـــدتْ حـولَها مغـمورةً خَربات
وفي تلك مبطانونَ صُغْرٌ نُفُوسُهُمْ وفي أهلـها هاتيـــكمُ الشُرُفات
على باب "شيخِ المسلمين" تكدّسَتْ جيـاعٌ عَلتْهـــم ذلّةٌ وعـــُراة
همُ القومُ أحياءٌ تقولُ كأنّهم على بـابَ "شيخِ المســـلـمين" موات
يُلَمُّ فتاتُ الخُبزِ في التُربِ ضائعاً هُنـاكَ، وأحـــياناً تُمَـــصُّ نواة
بيوتٌ على أبوابها البؤسُ طافحٌ وداخِلُهُنّ الأنـــسُ والشّهـــوات

***

تحكّمَ باسمِ الدّين كـــلُّ مـذَمّمٍ ومُرتـــكبٍ حفّتْ به الشـــُبُهـات
وما الدينُ إلاّ آلةٌ يَشـهَرونها إلى غـــــرضٍ يقضـــُونه، وأداة

وخلفَهُمُ الأسباطُ تترى، ومنـــهُمُ لُصـــــوصٌ، ومنهمْ لاطةٌ وزُنـــاة
فهَلْ قَضت الأديان أن لا تُذيعَهـــا عـــلى الناسِ إلاّ هذه النُّكـرات
يدي بيد المَستضعَفينَ أُريـــهمُ مـــن الظُّلْمِ ماتعيا به الكَلمـــــات
أُريهمْ علَى قلبِ "الفُرات" شـــواهقاً ثقـالاً تَشَكّى وطأَهُنَّ "فرات"
بنتْهُنَّ أموالُ اليتامى، وحَولَها يـــكادُ يَـــبينُ الدمـــعُ والحسَرات
بقايا أُناسٍ خلّفوها مواردا تســـدُّدُ لهـــوَ الوارثِينَ ، ومـــــاتوا

علة الحجاب

نظيرة زين الدين

لم تبدأ معركة المرأة العربية ضد الحجاب في فرنسا وإنما في القاهرة ودمشق وبغداد وقارب عمرها القرن. وخلال مئة عام من أجل الحرية علت اصوات نسوية كثيرة ضد الحجاب. الاديبة العربية نظيرة زين الدين واحدة من المناضلات السوريات من أجل حقوق المرأة وقد نشرت كتابين هامين الأول بعنوان "السفور والحجاب" والثاني بعنوان "الفتاة والشيوخ". وفيمايلي النص الكامل لمحاضرة القتها الاديبة في مدرسة الاحد في دمشق عام ١٩٣١ ونشرتها في ذاك الحين صحيفة "ألف باء " الدمشقية.

ايها السادة والسيدات

لايخفى على احد ان الجسم لايضعف ويهن الا اذا كان معتلاً. وحينما نشاهد جسم الوطن العربي ويالأسف، ضعيفاً واهناً منهوكاً ازاء الاقوام الحرة المستقلة السائدة، لايجوز ان ننكر مافيه من علل اجتماعية، ولا يسوغ ان نتوانى في اعمال الفكر لتشخيصها والعمل على استئصال اسبابها، اذا كنا في حب الوطن صادقين، ولقومنا العربي مخلصين.

وحينما نمحص اقوال الصحافة والمؤلفات الاجتماعية نرى اننا قد اختلفنا

اي اختلاف في تشخيص الداء وتحضير الدواء، ونوشك ان نقع في ظلمة اليأس، من كثرة مايشخص من امراض، وتأخذنا الحيرة في اشكال المعالجة.

على اني ارى ان امراضنا الاجتماعية ناشيء كلها او معظمها عن علتين، هما السبب الاولي لكل ما يضعف وطننا المحبوب واعتقد انه لايتم شفاؤه وتنمو قواه بالغة اشدها الا بازالة تينك العلتين.

ضغط حرية النساء، وهن الامهات والمربيات، والمؤثرات في النفوس، وقائدات الخطوات الأول، او هن العاملات في خير الامة، والمقويات لها، اذا انطلقن من قيودهن ونشطن من عقالهن.

أما العلة الثانية فليست الا الرياء. وهي العلة العاضدة للعلة الاولى.

ففي العلة الاولى:

لا أحاول الآن ياسادتي وسيداتي ان احلل كل قيد ضاغط، واشرح كل حق مسلوب، وابين كيف سبب ذلك امراضنا الاجتماعية الناهكة؛ تلك التي كادت تقطع منا الاوصال وتجرنا، لولا النهضة الجديدة الى الانحلال والاضمحلال. فان ذلك يستغرق وقتاً لا يسمح به المقام. لذلك اكتفي بكلمة في قيد الحجاب ذلك الذي اعده اشد القيود المضعفة والمعلة.

اني اذا استشهدت بما قال النبي العربي العظيم؛ وبنيت عليه ما اقول، فما استشهدت الا باعظم من ولدت الامهات حكمة وخلقاً كريماً.

قال صلعم، مما قال في النساء: "أكثر الخير فيهن".

فبما ان اكثر الخير في النساء، فقد كان على الرجال ان لايضعوا ما وضعوا من قيود تضغط حريتهن، وان لايسلبوهن ما سلبوا من حقوق لايتم الخير المرتجى منهن الابها.

وبما ان الله تعالى قال في كتابه العزيز: والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور. فقد كان على رجالنا ان لايلقوا على وجوه النساء نقابا يمنع عنهن النور، ويلقيهن في الظلمات.

أقول ما اقول وانا بلسان المرأة ولاسيما المحجبة، شاكرة للمفكرين الغير واهل الادب والصحافة وللساسة الناضجين الذين لايألون جهداً في نصرتها لفك قيودها ورد حقوقها اليها؛ وخروجها من الظلمة.

انها لاترى في ذلك نصرة لها وللحق فحسب، بل ترى ايضا غيرة متقدة لاعلاء شأن وطننا وقومنا، وسيرهما حثيثاً مع الامم السائرة، الى الحياة المثلى والمثل الاعلى، وما اكثر ما نرى من موجبات ترك الحجاب.

فمن ذلك:

اولاً- ان السفور حق طبيعي لكل حي؛ كي يستمتع كيفما شاء، بالشمس والهواء. وحرمان المرأة حقها هذا الاول في الحياة، وتحجيب وجهها، وهو مجمع حواسها، او تضييق منافذ حياتها؛ وطرق عقلها، بالنقاب، ظلم يخلق بالامة العربية ان تحل محله العدل.

ثانياً-ان الحجاب ما القاه الشرع المنير على وجوه النساء، جل الشرع المنير عن ذلك؛ انما القته عادة وثنية الاصل. واحر بالامة العربية ان تغلّب الشرع على العادة. وما الشرع المنير الا ما شرع الله في كتبه، والنبي في سنته.

ثالثاً-ان الامة لاتنال نصيبها الوافر من الرقي الا بازالة كل عائق دون نيل المرأة مثل ذلك النصيب. وانه، ولئن يكن الحجاب لا يمنع المرأة ان تصعد في سلم الرقي درجات، فهو ولا ريب، يعرقل صعودها ويعوقه، ويمنعها ان تبلغ الذروة العليا، لأن الحجاب قيد، ولايستوي المقيد والطليق.

رابعاً-ان كل عاقل متأمل يرى ويدرك ان الحجاب ظلام يتقلص، وعادة ضارة تتلاشى امام العلم والنور، فلينقلص سريعا ذلك الظلام ولتتلاشَ تلك العادة، لئلا تسبقنا الامم سبقا عظيما لا نستطيع بعده لحقاً او سباقاً.

خامساً-ان العالم الحر المستقل الراقي كله ناهج منهج السفور، فليس من الصواب ان ننهج منهجاً يفصلنا عن ذلك العالم. وان السوافر في المجتمع الانساني ليزيد عددهن عدد المحجبات نحواً من مئة وخمسين ضعفاً، والسوافر

من العرب يزيد عددهن عدد

المحجبات منهم اضعافاً فليس من الصواب ان يبقى فينا فئة قليلة لاتجاري تلك الاكثرية الساحقة.

سادساً-ان العالم السافر لايرى من مقتضى الحق والمصلحة والمروءة، ان ينكر على كل نسائه ورجاله شرف النفس والفضيلة. وان يتخذ من ذلك سبباً لظلم النساء جميعاً والقائهن في ظلمة الحجاب مضحياً بكرامته وكرامتهن، وبما له ولهن من خير، في حريتهن وسفورهن.

ولايرى من الصواب ومقتضى الكرامة ان ينكر ما في نفس كل فاضل وفاضلة، وما في المجتمع من قوى حافظة للعرض والشرف وان يحسب القوة الوحيدة الحافظة قطعة من نسيج تلقى على الوجوه.

ولايخفى عليه ان إلقاء تلك القطعة على الوجوه، لاينتج الخير المنشود، لان الخير في ماتنسج النفوس الشريفة، في ذلك النسيج!

ولايفوته ان في تلك القطعة احتكاراً عظيماً للرجل والمرأة والاب والابن والأخ والزوج وللمحارم جميعهم، وللمجتمع كله.

واي احتقار اعظم من ان تنكر عليهم كفاية مافيهم لصون العرض والشرف، وان يحسب ان في ذلك النسيج قوة حافظة ليس فيهم مثلها، وماقبلهم غيرها.

ان كل عاقل متأمل يسلم بان العالم السافر على صواب فيما يرى بهذا الشأن وفيما لايرى، فاحر بمن يؤثر الحجاب من العرب، اهل المرؤة والشهامة والشمم، ان يتأملوا بعقل محرر، لاتأثير فيه للعادات والمحيط المعسر، فيصدعوا بالصواب والحق الكاملين لما فيه خيرهم وكرامتهم وخير نسائهم وكرامتهن.

سابعاً-اننا كلنا نرغب ولاريب، في تكوين قوميتنا العربية تكويناً موحداً كاملاً، لتصير ركنا لنا متيناً يبنى عليه اتحادنا ومجدنا واستقلالنا. وذلك لايتم

بوحدة اللغة منفردة، انما يتم بها، اذا انضم اليها توحيد الثقافة والحضارة والعادات، وازيلت المفرقات. وان عادة الحجاب وما تجر وراءها لاهم المفرقات بين العرب، واعظم الحوائل دون توحيد ثقافتهم وتكوين قوميتهم تكويناً صحيحاً كاملاً.

ان الرجال، على اختلاف الطوائف والمذاهب، قد فعلوا خيراً بتوحيد زيهم، او ازالة اكبر الفوارق من بينهم، وبالسعي الحثيث لتوحيد ثقافتهم وتألفهم. فليشمل ذلك الخير من فيهن اكثر الخير ، لتتم الوحدة القومية التي ينشدونها.

واني، حرصاً على وحدة قومي، لا احاذر ان اقول: ان جاز، في هذا الزمان المستنير الراقي ان تجمع الامة العربية على تعميم الحجاب، مع مافيه من ظلم وعسر وضرر، فلتتحجب العربيات السافرات، مسلمات وغير مسلمات!! والا، فلتسفر المحجبات، حتى نكون قوماً عربياً، واحداً، لايبدد شمله اختلاف الثقافة والحضارة، وتباين التقاليد والعادات.

هذه نبذة صغيرة من موجبات السفور، وما اكثر الشواهد على ذلك، وقد ذكرت منها ماذكرت في (السفور والحجاب) و (الفتاة والشيوخ) واثبت فيهما ان الحياة المثلى لاتكون الا في النور.

ايها السادة والسيدات.

اعيد قولي، اني اذا استشهدت بما قال النبي العربي العظيم، وبنيتُ عليه ما اقول، فما استشهدت الا باعظم من ولدت الامهات حكمة وخلقاً كريماً.

قال صلعم: "ان اخوف ما اخاف منه عليكم الشرك الاصغر " قالوا ما الشرك الاصغر يارسول الله قال: "الرياء".

اما نحن فيا للأسف، لقد وقعنا في اخوف ما خاف منه علينا؛ فوصلنا الى ما وصلنا اليه مما لا يرضى عنه العرب الكرام، وهم حفدة اولئك السادة، سادة الاقوام.

ان الرياء ياسادتي وسيداتي، مرض في النفس تنشأ عنه الامراض الخلقية

التي تنهك النفوس؛ وتقضي على الامم.

فالمرائي؛ جبان، ليس له من الجرأة الادبية نصيب. فلا يصدع بالحق الذي يراه بعين عقله بل يتبع الباطل تزلفا لاهله. والويل لامة لايجرؤ العاقل فيها ان يصدع بالحق الذي يراه المرائي، يحجب عقله الجبن والرياء وضعف الارادة، فلا فائدة من عقله ولو كان عقله نيراً، لأنه محجوب. انما الضرر من عمله؛ لأن العامل فيه عدم الاخلاص، واي فائدة من نور العقول اذا تدنأت النفوس الى الرياء فيحجب الرياء النور.

المرائي لايحترم نفسه؛ فتصغر ويصغر هو معها. فليس له في النفس كبر يحمله حينما يرى الحق والباطل يتنازعان على تأييد الاول وازهاق الثاني، بل يحل الثاني محل الأول، او يدور مع الهوى.

المرائي لايجرؤ على السلوك في طريق الخير، خوفاً من السالكين في غيرها، ولا على الجهد في سبيل الحق، رهبة من الماشين على غير تلك السبيل. فلا نفع منه للامة وامهاتها ولا يرتجى.

المرائي غريب عن الاخاء الوطني. لأن الاخاء يسلتزم الاخلاص؛ وهو من الاخلاص عديم. انه اذا هضم حقه لايستحق ان ينصر، لانه لاينصر الحق وكثيراً مايُرى في جانب الباطل.

المرائي، ليس خليقاً بالحرية والاستقلال سياسياً، لانه مستعبد الارادة والعمل واللسان والقلم اجتماعيا. وبما ان الامة بافرادها فلا تنال ماتنشد الا اذا استقل رجالها ونساؤها وتحرروا اجتماعياً، ونبذوا الرياء، وجاهدوا في سبيل الحق.

اجل، يجب على الانسان ان يجاهد بعزيمة لايشوبها في سبيل الحق ضعف، ولئن يلصق بالمجاهد باطل في البداية؛ فلا بد له من الفوز في النهاية. وان رجوع الانسان عن الجهاد في سبيل الحق ليس الا جبنا واحتقارا لمبدأ الصدق الذي يجب ان يتأصل في القلوب وبحكم الشعوب.

ينبغي للانسان حينما يرى الحق والباطل يتنازعان ان يحمله كبر نفسه على تأكييد الحق وازهاق الباطل. بل ينبغي له ان ينقب الباطل كما قال الامام علي؛ ويثابر على نقبه حتى يخرج الحق من جنبه.

انه من الحق ان يعذر الذين يعتقدون ان الخير في الجمود على العادات والتقاليد القديمة كيف كانت، فيتمسكون بها. انهم مخطئون ولكنهم باتباع ما يعتقدون مخلصون. والمخلصون لايعذلون.

وما احرى باللوم الذين يعتقدون ان لاحياة للأمة اذا جمدت، ومع ذلك يجمدون رياء او تزلفاً لمن جمدوا، ولايجرؤون على المجاهرة بما يعتقدون.

يعذر أولئك ويعذر الألى يعتقدون مثلاً صلاح الحجاب فيتمسكون به. انهم، ولئن أخطأوا، مخلصون في العمل بمقتضى عقيدتهم.

وما احرى بالعتب الذين يعتقدون صلاح السفور وضرر الحجاب، ولا يجرؤون على المجاهرة والعمل بما يعتقدون. انهم يضحون على مذبح الرياء والجبن بحريتهم واستقلالهم، وبما يعتقدون في السفور من خير لهم ولامهاتهم وبناتهم واخواتهم وزوجاتهم، وللآمة العربية كلها.

انهم يعرفون حق المرأة. فلا شيء يبرر موقفهم اذا لم يستجيبوا نداءها في استرداد ذلك الحق لتتمكن من ايفاء الواجب عليها.

اسمعوها ايها السادة وهي تنادي، في برقية سيدات يافا الى المؤتمر الاسلامي العام، وقد نشرتها الصحف منذ عدة ايام، اسمعوها وهي تنادي:

"عم بلاء الاستعمار، وتفاقم الخطر الصهيوني، مقدساتنا وقوميتنا مهددة. نريد مشاركة اخواننا في الجهاد للحرية والاستقلال. ولكن تقاليد نسبت كذباً الى الدين الحنيف جعلتنا عضواً اشل. نطلب بالحاح تحريرنا وتمكيننا من القيام بواجباتنا للجهاد".

او يجوز للمستنيرين المدعين الغيرة القومية والحمية الوطنية ان يلزموا سبيل الرياء ويصموا آذانهم عن مثل ذلك النداء.

أخّر المسلمين عن أمم الار ض حجاب تشقى به المسلمات
فاذا لم يثبن قصد حيـــاة سافرات فليس الا الممـــــات

فياسادتي وسيداتي، انتم اعلم وادرى بان السعي لاستئصال تينك العلتين النهكتين القاتلتين، من الواجب على كل صادق وصادقة في الحب للوطن العربي.

فاذا تحررت المرأة ونبذ المتجددون المستنيرون الرياء، فكبرت نفوسهم، مثلما استنارت عقولهم، وكان لهم من الجرأة الادبية ما يحملهم على ان يصدعوا بالحق، في اقوالهم وافعالهم، ويظهروا، غير هيب ولا وجل، بالمظهر الذي يعتقدون ان فيه الصلاح والخير مؤثرين المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، امتد النور في البلاد العربية سريعا الى جميع ارجائها، وتلاشت الظلمات من اجوائها، وبرىء جسم مجتمعها من الادواء، وتحررت النساء والامة جمعاء. فسعياً الى ذلك، ايتها الامة المحبوبة، سعياً، رعاك اله رعياً؛ وشيدي صرح المجد، وحصن الاستقلال بيد من النساء ويد من الرجال.

وحق التصويت أيضاً

غادة السمّان

غادة السمان هي ضمير المرأة العربية في الرواية، وعيها المتفجر ولا وعيها الناطق. كتاباتها أشهر من أن تعرف بسطور فهي بحد ذاتها تاريخ للادب النسوي العربي المعاصر. وإن كانت اليوم تتابع مسيرتها الطويلة فيما يمكن وضعه تسهيلا في نطاق مابعد النسوية كصوت دائم للحرية في المساواة، فمعركتها بدأت منذ سن المراهقة. ومن كتابات سن الشباب، كان صراعها مع كل علامة تحجر وتخلف اجتماعية ونسوية.

في ١٩٦١، أرسلت مجموعة من النساء السلفيات رسالة يطالبن فيها بمنع المرأة من حق التصويت. قناعة السلفيات بأن المرأة قاصر مدى الحياة لم تمكنهن من تصور المجاز تقدمي كهذا، فتقديس عبودية المرأة يربط حريتها وانعتاقها بالخطيئة، ولم يتأخر قلم الشيخ علي الطنطاوي عن التصدي لحق المرأة في التصويت حينها. وللنسوة المتحررات عامة، "الفتاة المتحررة، تعلن غادة السمان في مقالة بعنوان «دستورنا.. نحن الفتيات المتحررات» أنها من حيث المبدأ انسانة تعتقد انها تحمل قدرا من الانسانية يساوي القدر الذي يحمله الرجل.. وهي تعترف في الوقت نفسه بانها (أنثى) وبأنه (رجل).. فالفرق بينهما «بيولوجي» لا «انساني» وكلاهما يتساوى في رتبة الانسانية.. ،يتساويان بالتالي في الحقوق الانسانية" (النصر، ١٩٦١/١١/١٢).

وفي مقالة بعنوان "لن يزرعونا بعد اليوم في شرانق الضباب" (النصر، ١٩٦١/١١/٢١) تقول: "هناك كانت اختي طبلة اجيال مصلوبة في ظلمة التقاليد البله مدقوقة بمسامير الاحساس بالذنب واللامعنى. وهناك علموها أن تتلهى بجدل الاشاعات والقيود.. وهناك غرسوا في اعماقها مع العتمة، نفسية الجارية.. وهم الذين قاموا بتقنية كيانها بحيث توجه مواهبها وفعالياتها كلها لابتكار الوسائل التي تزيد في ثمنها كجارية.. اجيال في كهف العتمة.. عشيت عيناها واعتادت صفعات الرجل والظلمة والذل". "سنبتر ذراعنا ان خانت" ترد غادة على النساء السلفيات في مقالة أخرى نشرتها صحيفة النصر (١٩٦١/١١/٣) بعنوان "جريمة، أن تعشق الجارية أصفادها" وفيمايلي النص الكامل لها:

" فلنصل..

من أجل الجارية التي تجلد.. لسنا ندري في أي كهف اعتادت على ان تجلد لكننا نسمع استسلامها الدامع المتأوه.. رمينا لها بالحبال بصقتها. صهرنا لها السلاسل. عادت تجدّ لها تخاف أن تحيا.. لأنها أجبن من أن تحمل مسؤولية الحياة.. منحنا حقوقنا الانتخابية حق المشاركة في ادارة البلاد وتقرير المصير. حق الجهاد في سبيل الله والوطن.. حق التعب والمسؤولية ولم تكتمل الفرحة.. فقد قرأت البارحة إحتجاجا في إحدى الصحف موقعا باسم أخوات لي من حماه. إحتجاجا على منحهن حق الحياة والكفاح وشرف المسؤولية والنضال ماذا أقول؟..

بعد زفرات ملايين النساء الموءودات عند أفق ما.. بعد حزن اجيال ترسب في صدورنا كالدخان الثقيل. بعد تلهف اجيال على مشاركة الرجل في وجوده الانساني تكرمنا السلطات وتدعونا لممارسة حياتنا الانسانية. فتمنحنا شرف الواجب والمسؤولية. ثم نرفض؟. ماذا أقول؟. الجبان وحده يرفض أن يحيا.

والحياة مسؤولية والمسؤولية واجب لامتعة. وبعض الاخوات في حماه يرفضن نداء الوطن تهرباً من المسؤولية.. يصرخن: الاسلام.

والاسلام كرم المرأة. يهربن من معركتنا تخاذلا واستكانة ويصرخن: «الاسلام». وعائشة حاربت يوم دعت الحاجة لان تحارب. يخشين الاختلاط بالرجال وماقد يتهمهن به الناس.. وعائشة اتهمت ذات مرة. وعائشة شرفها الله بآية تضيء براءتها من خلالها وبراءة كل إمرأة تغامر في أن تكون انسانة في مجتمع مازال بعض دعاته يصرون على الاحتفاظ بها مومياء، جارية ملونة، وجودها رياش واصباغ وحكايا بله.

الاستاذ علي الطنطاوي لن أرد عليه. فله الحق في اختيار رأيه الشخصي والتمسك به مادام منسجما مع نفسه. وقد نثبت له ذات يوم أن مخاوفه لم تكن في محلها.. وان المرأة، تلك الحلوة الناعمة التي ما أبدع شاعر في وصف حسنها كما ابدع شيخنا الكبير، هي ايضا انسانة قوية تستطيع أن تشارك الرجل في حمل المسؤولية.. ان مقاومة الاستاذ الطنطاوي لنا ليست خيانة.. انها تحد شريف يزيد في عنف رد الفعل الشريف.

اما اخواتي الحمويات. أما الخيانة في صفوفنا نحن نساء هذا الوطن.. خيانة الاهداب للعين، خيانة الاصبع للاصبع.. خيانة الكف للساعد.. ماذا اقول عنها، ماذا يقول نصفي ان اختار نصفي الآخر أن يكون مشلولا، والعدو أمامي ووراثي وفي كل مكان؟.

فلنصل..

من أجل السرطان الذي هو من بعضنا.. ولنبتهل. لاننا سنبتر ذراعنا ان خانت..

فلسطين تتأوه ونحن نتلوى في شرانق عقدنا وانهزاميتنا. الجزائر تصلب كل فجر ومازال بيننا نساء لايعرفن من هي جميلة..(جميلة بوحيرد).

العالم ينطلق في سباق نحو القمر وهن يجدلن الحجب لقلوبهن والسلاسل

لوجودهن. كل يهودية محاربة.. لماذا لاتكون كل مسلمة محاربة وقد كانت كذلك؟.

فلنصل..

من أجل اللواتي يتهمن الاسلام بتحقيرنا.. وهو الذي انتشلنا من الصحارى حيث كنا ندفن كالجيف لاتلمس جباهنا السحاب الا اذا نهشتنا النسور وطارت بنا الى كهوف الرعب والهوان.. وهو الذي حرم علينا أن نكون دمى تزين الموائد، وسلعاً لاله البترول. وفراشات لمصابيح سوق الغرور الملونة..

فلنصل..

من أجل الفراشة التي ترفض قرض شرنقتها لتخرج ولتواجه العاصفة.. فقد اعتادت على أن تكون دودة سجينة.

فلنصل..

من أجل اللواتي يرفضن تعب الشتاء وحصاد الصيف خوفا من رحلة الشتاء والصيف.. اللواتي يصممن الآذان عن نداء الانسانية والوطن والكرامة خوفاً من مسؤوليات الوطن والكرامة.. حكمن على انفسهن بانتحار الصمت والانهزامية.. والانتحار اليوم جبن الجبن، لان حياتنا ليست ملكنا وحدنا.. انها لماضينا وقدرنا ومستقبل امتنا.. لان الواجب يفرض علينا أن نحيا.

فلنصل..

من أجل عذارى جزر الخوف وكهوفها المرجانية الضبابية.. من يجابه العاصفة يصفعها.. والحياة عاصفة.. واللؤلؤ اختار الاعماق منذ أعوام سحيقة.. واللؤلؤ لنا وحدنا.. وعذارى جزر الخوف مازلن يجدلن الاشاعات والشعر الحرير.. وعذارى جزر الخوف قررن الهرب من المعركة. وحكمهن في الاسلام كحكم الجندي الفار من المعركة.. ياحسرتي.. يوم تطأ قدما أول امرأة جبين القمر، ولا تكون عربية!!.. فاخواتي مازلن مصرات على جدل الاشاعات والشعر الحرير وتثبيت انفسهن بها الى اوتاد جزر الخوف.

الفصل الثالث: قضية الحجاب في فرنسا

قراءة في وقائع الحدث

فيوليت داغر

بدأت القصة في مدرسة غابرييل هافاس في مدينة كري الواقعة في المنطقة الباريسية حيث بعد نقاشات طويلة مع أهالي الفتيات الثلاثة اللاتي يرتدين الحجاب، قرر ناظر المدرسة ارنست شينيير في ٤ اكتوبر (تشرين الاول)١٩٨٩، منع هؤلاء من دخول الصف مرتديات للحجاب باعتباره، كغيره من العلامات الدينية، يتعارض مع علمانية المدرسة.

تبعد كري حوالي ٦٠كم عن باريس وفيها يتجمع عدد كبير من المهاجرين من كل الجنسيات والاديان، بحيث يشكل عدد سكانها (٣٨ الف نسمة) موزاييك حقيقية للهجرة. فهي من المناطق المتأثرة بحدة من قضية البطالة. ومن بين طلبة المدرسة البالغ عددهم ٨٦٥ طالبا وطالبة يبلغ عدد المتحدرين من البلدان الاسلامية ٥٠٠، اما الفتيات الثلاث فواحدة منهن ابنة شيخ، وشقيقتان من اسرة متدينة، وكلهن مهاجرات مغربيات جئن الى فرنسا ضمن مشروع توحيد شمل العائلات المهاجرة.

عند اتخاذ الناظر قراره هذا تدخلت عدة جمعيات مناهضة للعنصرية اهمها MRAP (الحركة ضد العنصرية ومع الاخاء بين الشعوب) و SOS RACISME -وهي حركة مناهضة للعنصرية مقربة من الحزب الاشتراكي- تطالب بالسماح للفتيات بارتداء الحجاب في قاعات الدرس على اساس ان

خروجهن من سجن المنزل الى المدرسة يعطيهن الفرصة للتحرر ويسمح لهن بالاندماج بالمجتمع. كذلك تحركت اكثر من جمعية راضخة لتأثير الاصوليين والمتشددين للاستفادة من القضية موكلة المحامي فيرجيس للدفاع عن الفتيات مع الاصرار على التمسك بموقف الاهل المتشدد، على مبدأ ان الحجاب من قواعد الاسلام الاساسية ولا مناص عنه لكل مسلمة، وان خيرت المسلمة بين الحجاب والمدرسة فعليها اختيار الحجاب والبقاء في المنزل.

بالنسبة للناظر-الذي هو نفسه ملون ومن المارتينيك ومن المدافعين عن المهاجرين ومناهضي العنصرية- فان المعارك التي خاضها من قبل ضد المتدينين اليهود الذين يطالبون بارتداء القبعة وبعطلة السبت، لامعنى لها اذا لم يتعامل مع كل الاديان على قدم المساواة. وفي مدينة يهرب منها بانتظام ٣٠٪ من الجهاز التعليمي بسبب صعوبات التعليم لجمهور مختلط الجنسيات والقافات، فان العلمانية هي الحل الوحيد القادر على السماح للمدرسة بالقيام بدورها التربوي.

ان الانقسام الذي وقع في صفوف العلمانيين الفونسيين حول هذه المسألة لم تعرفه فرنسا منذ احداث ١٩٦٨، فدانييل متران زوجة الرئيس الفرنسي، عبرت عن رأيها معطية الحق للمسلمات في ارتداء الحجاب كجزء من حرية المعتقد في حين شجبت ماري كلير مندس فرانس (زوجة رئيس الوزراء الفرنسي في الخمسينات والمشهور بمواقفه المناهضة للاستعمار) تدخل السيدة ميتران باعتبارها تخلط التسامح وحرية المعتقد مع التسامح تجاه المرأة ومساواتها بالرجل. أما جيزيل حليمي (احدى قادة الحركة النسوية الفرنسية ومن مواليد تونس) فقد استقالت من حركة SOS RACISME رافضة قبول الحجاب في المدرسة باعتباره الرمز لدونية المرأة واحتقارها. عدة نواب اشتراكيين، تصدرت صورتهم الصفحات الاولى للجرائد، دخلوا قاعة البرلمان مرتدين "اشاربات" معبرين عن رفضهم لدخول الحجاب الى المدرسة. في محاولة للاستفادة من

الحدث، قامت مجموعات صغيرة من الاصوليين الموالين لايران والسعودية بتنظيم مظاهرة في باريس ٢٢اكتوبر شارك فيها حوالي ٥٠٠رجل وعشرات النساء وحملت شعارات متطرفة تذكر بالمظاهرة التي نظمتها المجموعات نفسها ضد رشدي. وهنا، تحرك الاعلام الفرنسي بشكل كبير لتغطية هذه المظاهرة الصغيرة التي قاطعتها اهم التنظيمات والجمعيات والشخصيات الاسلامية واستنفر اليمين واليمين العنصري المتطرف قواهما ضد الهجرة مهولين بالخطر الاسلامي. وقد لعب الاصوليون لعبة اليمين المتطرف عندما خاضوا في المنزلق الاعلامي، باعتباره فرصة لهم للتعبير عن آرائهم ولو كان ذلك على حساب اغلبية الجالية العربية والاسلامية المندمجة في المجتمع المدني والتي تعتبر الدين قضية خاصة، مماسمح للعنصريين بالاستفادة من اقوالهم حيث وزعت في شوارع المدن الكبرى افيشات لجملة قالها حسين موسوي لجريدة "الماتان" الفرنسية بان "فرنسا ستصبح جمهورية اسلامية بعد عشرين عاما انشاء الله" بدون ذكر من طبعها. فالمهووسون الاصوليون يكررون هذه الجملة في صحفهم واليمين المتطرف يستعملها ضد المهاجرين والاسلام. ومن الملفت للنظر محاولة الحاخام الاكبر للجالية اليهودية الفرنسية، جوزيف سيتروك، دعم قضية الحجاب. فهو بذلك يضرب عصفورين بحجر اذ انه من جهة يمرر مطالب المتدينين اليهود المتعارضة مع العلمانية، ومن جهة اخرى يضع الاصولية في موقع تمثيل المسلمين تأكيدا لفكرة ربط التعصب بالاسلام والمسلمين.

وهنا تحرك عدد من المثقفين العرب والايرانيين والجمعيات الثقافية للمهاجرين للدفاع عن المهاجرين ومقاومة الاصوليين والتأكيد على ان العلمانية هي افضل محام عن قضايا الاقليات والمهاجرين حيث كان موقف محمد حربي بتأكيد المنع، وهيثم منّاع برفض اية علامة دينية في المدرسة العلمانية، وجمعية FRANCE PLUS (التي اعتبرت الاصوليين حجر العثرة الاساسية بوجه حياة طبيعية للمهاجرين في فرنسا باعتبارها الحليف الموضوعي للجبهة الوطنية

المعادية للعرب والمسلمين)، ومجموع الجمعيات النسائية المهاجرة...

عند ذلك بالذات، ادلى ليونيل جوسبان وزير التربية الفرنسي برأيه لمجلة "النوفيل اوبسرفاتور" (عدد ٢٦ اكتوبر) مؤكدا فيه على علمانية المدرسة ورفض اي تبشير ديني فيها ومناقشة الاهل في مسألة الحجاب، فان اصروا عليه، يسمح به في المدرسة لكي لا تطرد الفتيات منها، مع رفض اي شكل من اشكال الغياب عن الدروس.

يمكن اعتبار رأي جوسبان حلا وسطا بين العلمانيين والمتشددين، كونه يقبل بالحجاب ويرفض ماتطالب به اسر الفتيات من السماح لهن بعدم حضور دروس الموسيقى والرياضة والعلوم الطبيعية التي تتعارض برأيهم مع الدين. الا ان المدرسين العلمانيين الذين خسروا معركة المدارس الخاصة عام ١٩٨٤، اعتبروا في هذه الوسطية تراجعا جديدا وانتصارا لعودة الدين الى المدرسة العامة التي يطالب بها رجال الدين الكاثوليك واليهود منذ سنوات. وبالتالي فقد رفضوا باغلبيتهم قرار وزير التربية.

عندها، يصدر خمسة من المثقفين والمثقفات (اليزابيت بادانتير، رجيس دوبريه، آلان فنكلكراوت، ايزابيت دو فونتنيه وكاترين كنتزلر) بيانا عنيفا ضد وزير التربية، ويؤيد سبعة من المثقفين من اصول اسلامية (محمد حربي، هيثم منّاع، حمى ناطق، ناصر بكدمان، مصطفى مرشاوي، فوزيه غزلان وبهمان بيروماند) توجهه العام وان اختلفوا على تقييم الوضع، مع التأكيد، في بيان لهم، على ان قضية الحجاب تطرح نفسها كقضية اجتماعية وسياسية اكثر منها دينية، وان على المسلمين في فرنسا تحقيق اصلاحات حقيقية في نظرتهم وممارساتهم لان الظروف تختلف عما يسمونه دار الاسلام.

وزير التربية الاسبق ووزير الدفاع الحالي جان بيير شوفنمان يخالف جوسبان ويعلن انه ضد اية علامة دينية في المدرسة، يهودية كانت ام مسيحية ام اسلامية. وينضم للمثقفين السبعة عدد كبير من الكتاب والجمعيات المهاجرة. هنا

يضطر وزير التربية الى تحويل القضية الى مجلس الدولة للبت بها من الناحية القانونية.

الانقسامات في صفوف العلمانيين تطال الجميع: الحزب الشيوعي الفرنسي يقف ضد الحجاب وضد اية علامة دينية في المدرسة العلمانية، كذلك النضال العمالي (تروتسكية)، اما رابطة الشيوعيين الثوريين (تروتسكية) فتتخذ موقفا مع قبول الحجاب. وفي استفتاء للرأي قامت به صحيفة الموند مع مركز ايفوب ومجلة لافي يظهر ان ٤٥٪ من المسلمين في فرنسا ضد الحجاب في المدرسة و ٣٠٪ مع قبوله وان معظمهم يرفضه لبناته، اما ٢٥٪ منهم فيجيبون بان الامر لايهمهم ولايعنيهم (الموند ٣٠ نوفمبر ١٩٨٩).

في ٢٧ نوفمبر ١٩٨٩، يعلن مجلس الدولة رأيه في القضية: ففي قرار لاترد فيه كلمة الحجاب مرة واحدة، يعتبر ان العلامة الدينية لاتتعارض مع مبادىء العلمانية ويرفض قطعيا اي اعتذار عن الدروس ويعطي لادارة كل مدرسة الحق في تقدير ماتراه مناسبا في اعتبار ضرورة المنع او السماح لكل ماهو ديني ويمكن ان يؤثر على سلامة التعليم وأمن المدرسة، مع رفض لاي شكل من اشكال التبشير الديني.

ان القراءة المعمقة للقرار تظهر بانه "هدية مسمومة" للاصوليين، حيث قد يفهم منه السماح بالعلامات الدينية -الامر الذي صفق له الاصوليون- كما انه قد يشمل غيرهم كما يشمل علامات اخرى (الصليب او اشارة داوود مثلا)، ويسمح باعتبار بعض العلامات جزءا من نشاط تبشيري، بمعنى العودة الى نقطة البدء.(*)

خلال كل هذه الفترة لم يسمح للمحجبات في افينيون ونيون ومارسيليا وكري بدخول قاعات الدرس، وأكثر من نصف التلميذات المحجبات تركن الحجاب مفضلين العلم (بما فيه اثنتان من كري). ولم يبق الا اقل من عشر محجبات في كل مدارس فرنسا بضغط من اهلهنّ الذين يحتلون مواقع تنظيمية اصولية او من

المتعصبين جداً.

بعرض عضلاتهم هذا، فقد اشعل الاصوليون نار الفتنة وعززوا مواقع اليمين المتطرف واعداء المهاجرين. والنتيجة المباشرة تظهر اليوم مع انتخاب ستيربوا (نائبة الجبهة الوطنية العنصرية في مدينة درو) بأكثر من ٦٠٪ من الاصوات لتعود الجبهة الوطنية الى البرلمان وهي تشكر في اعماقها الاصوليين على فرصة لم يكن لها ان تحلم بها.

اما التقدميون في صفوف الهجرة فقد قرروا النضال على جبهتين: الاولى توحيد الاصوات العلمانية في صفوف الجاليتين العربية والاسلامية لمقاومة كل اشكال الاصولية والتعصب التي تنعكس اضرارها على العمال المهاجرين. والثانية: النضال ضد كل اشكال العنصرية في فرنسا والمطالبة بسياسة اجتماعية سليمة تسمح للمهاجرين بالعيش في المستوى اللائق بانسانيتهم ولابنائهم بأخذ المكان الطبيعي لهم دون اي تمييز. وكما يقول بيان المثقفين السبعة: "لاتسمحوا للمهووسين والاصوليين بالحديث عنكم، اخرجوا من صمتكم، فمن الخارج لن يساعدكم احد".

---

* هذه النقطة حسمها وزير التربية في بيان للوزارة يطرح مسألة الحوار وفي حال الرفض للانصياع تتخذ عقوبات بحق الطالبة، فيما يشكل تراجعاً للوزير عن موقفه السابق.

وثائق

المنع مسموح به

محمد حربي

هناك فرضية تخيم على النقاش الدائر بصدد ارتداء الحجاب. تكمن في الخلط بين الاعتقادات الدينية في الاسلام والاصولية الاسلامية، التي هي ايديولوجية سياسية، فيما يجعل الحوار يقع في نفس المنطق الذي حكم قضية رشدي.

إن مايكمن وراء الاحاديث المتملقة للاسلاميين الذين يزعمون بأن ارتداء الحجاب مرتبط باحترام النساء، هو الرغبة في ابقائهن في حالة الدونية. وباسم هذا الاحترام عينه، سيطالبون غدا بفصل الفتيات عن الشباب وباعفاء الفتيات من المواد التي تسيء إلى عفتهن الخ.. وهكذا فإن مايشكل بالنسبة للديمقراطي الفرنسي بادرة تفهّم تجاه فتيات يعانين من مشاكل نفسية، باختصار، واجب يقتضيه قانون العطف، يأخذ بالنسبة لنا بعداً مختلفاً تماماً. بالقبول، باسم التسامح، باستعراضات رمزية تسمى نفسها دينية، نعطي سندا لامناص عنه، لكل الذين في البلدان الاسلامية، يقفون حاجز عثرة أمام المساواة بين الجنسين ويناهضون الديمقراطية. إذا صدّق الفرنسيون على التفسير الظلامي للتقاليد الدينية، كيف يمكننا الدفاع عن المثل العلمانية في بلاد الاسلام من اللحظة التي يقال فيها بأنه في فرنسا...

لنلاحظ أن هؤلاء انفسهم، الذين باسم الحرية الشخصية يطالبون بحق ارتداء الحجاب في المدارس، يشترطون في اماكن أخرى على كل النساء المسلمات أن يرتدينه ولا يمتنعون في حال الرفض عن اللجوء الى وسائل الترهيب والرعب.

لقد آن الاوان لأن يقتنع كل واحد بان الجالية الاسلامية ليست جسما واحداً غير قابل للانقسام وإنما تضم تيارات متعددة. وعلى كل واحد أن يعرف مع أي تيار هو: اسلام متنور ومنفتح على الآخرين، يقبل بالتعددية وحقوق الانسان، أم اسلام منغلق، يبحث عن شرعية له عبر تفخيخ الرأي العام، شرعية يستعملها ضد خصومه مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين. لنأخذ حذرنا بعدم الرضوخ لمطالب الاصوليين حول مسألة المدرسة، فالرضوخ يشلّ مقاومة الفتيات لابتزاز الاهل العاطفي والتبشير الذي تقوم به الجماعة ويحرمهن من الدعم الخارجي الذي يسمح للشابات بأخذ مسافة من الاهل دون مأساة أو قطيعة عائلية. أيضاً وبشكل خاص، الهم المشروع للتأقلم عند المسلمين في المجتمع الفرنسي لا يجب أن يحول دون فهم صلافة (كلبية) الاسلاميين، الذين يستعملون القيم الديمقراطية عندما تخدمهم ويتنكرون بشكل جذري لها في كل مكان يحكمون فيه.

بالتأكيد، يمكن القول بأن منع الحجاب له أضراره من حيث يسمح للاسلاميين بأن يلعبوا دور الضحية. هذا صحيح. ولكن يجب الا ننسى أن الموافقة على مطاليبهم تطرح على بلدان كتركيا وتونس مشكلات صعبة الحل.

النوفيل اوبسرفاتور ٢٦ اكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩

الحجاب الاسلامي: القانون القرآني

مهناز ماتين

تلك كانت صرخة بضع مئات من الرجال وبضع عشرات من النساء الذين تظاهروا في شوارع باريس للاحتجاج ضد منع الحجاب الاسلامي في المدارس العلمانية. الحجاب يرمز إلى وضع المرأة المسلمة، المحدد بمجموعة من القوانين القرآنية، هذه القوانين التي تنص أيضاً على تعدد الزوجات، الرجم والتطليق الخ.

وهكذا، فان قطعة القماش هذه، بعيداً عن ان تكون مجرد اختيار في الملبس، تقدم مرة أخرى كرهان اجتماعي-سياسي. وتصبح في الحقيقة موضوع صراع بين قوى تدافع عن انماط متباينة ومختلفة للمجتمع.

ليس من قبيل الصدفة، أن مسألة الحجاب الاسلامي تقع في قلب قضية حقوق النساء في البلدان الاسلامية. وفي الوقت الحاضر، نشهد ظاهرة رجوع القضية في صفوف الجالية المسلمة في فرنسا. هذه القضية لايمكن طرحها بشكل صحيح إذا تم تجاهل الصلة بين حقوق النساء وحرية النساء والعلمانية. بينما في الغالب، ولأسباب سياسية أو غير ذلك، ثمة ميل إلى "نسيان" وجود هذه الصلة.

إن تجربتنا، كنساء ايرانيات، تظهر بوضوح النتائج الكارثية لهذا "النسيان". آلالاف النساء الايرانيات السافرات قبلن ارتداء الحجاب في المظاهرات ضد الشاه ليرمزن بذلك الى تحالف جميع القوى المناهضة للامبريالية، كنا نعتقد بأن هذا النضال يشمل الجميع ولم نأخذ بعين الاعتبار اخطار الاصولية الدينية. وما حدث، هو أن الاصوليين استفادوا من هذا التراجع ليتقدموا يوماً بعد يوم، وليفرضوا قوانينهم على النساء والمجتمع. في بداية الثورة الايرانية، كان الحجاب يمثل اختياراً لهوية المرأة المسلمة؛ ثم اصبح اجباراً والزاماً بكل بساطة ووضوح. واصبح الجلد والسجن عقاب النساء اللاتي لايرتدين الحجاب أو يضعنه بشكل غير صحيح ولم يكن العقاب القانوني سوى بداية.

بعدها جاء التصريح والتشجيع بتعدد الزوجات، الرجم للنساء "الزانيات"، منع المرأة من ممارسة بعض المهن (خاصة أن تكون قاضية)، منع الاختلاط في المدارس، خفض السن القانوني للزواج وحتى منع المرأة من أن تغني للنساء في ملتقى(!) أصبحت هذه الممارسات عادية جداً.

نعم، لقد دفعنا غاليا جداً ثمن "اهمالنا البسيط"!

كيف بإمكاننا بعد هذه التجربة المرة أن نكون غير مبالين في الحوار حول ارتداء الحجاب في المدرسة العلمانية وخاصة تجاه الخطاب الذي يعتبر نفسه تقدميا، والذي، مأخوذاً بضرورة النضال ضد العنصرية (الذي نعتبره غاية في الاهمية) يحاول أن يستر على قضية حقوق النساء أمام مطالبات الاصوليين باسم خصوصية ثقافية بدائية. إن تراجع القوى العلمانية لن تكون نتيجته الا تعزيز تطور الخطاب الاصولي في صفوف العائلات المسلمة. إذا كانت الجمهورية العلمانية تقبل بتطبيق القانون الاسلامي في مدارسها العامة، كيف يمكننا أن ننتظر من النساء والفتيات المسلمات اللاتي يرفضن الانصياع للقواعد الاسلامية أن يقاومن؟ اننا نقر بضرورة الحوار والنقاش لمحاولة البحث عن الحلول المناسبة،

ولكن الحوار السليم مع الاصوليين لايمكن أن يأتي ثماره إلا بالحزم في مبادىء العلمانية.

إن تجربتنا كنساء ايرانيات جديرة بأن تؤخذ بعين الاعتبار، خاصة من قبل النساء المسلمات اللاتي يرفضن النظرة الاصولية لحقوق المرأة في الاسلام.

آكتوبر ١٩٨٩، عن جماعة "بيداري" (اليقظة) للنساء الايرانيات.

مقابلة: مخرقة الحجاب

في معمعان قضية الحجاب في فرنسا، أجرى حميد برادة المقابلة التالية مع هيثم مناع ونشرت هذه المقابلة في مجلة " النوفيل اوبسرفاتور" الفرنسية (٨/٢ نوفمبر ١٩٨٩) وفيما يلي ترجمتها:

ن.ا: ماالذي يصفعك في قضية "كري".

مناع: ان المسلمين الذين يشاركون في الحوار لايظهرون على حقيقتهم، وانما بوجه محجب ولتوضيح مرادي أعطي مثلين على ذلك: الاول معتدل والثاني اصولي. حمادي الصيد، ممثل الجامعة العربية في باريس يعتبر الحجاب " تقليداً وثنيا" لاعلاقة له بالاسلام ومع ذلك، يطالب بالسماح للفتيات المسلمات بارتدائه في المدرسة. أما الاصولي، محمد مهاجر، النصير الشرس للخميني، فيعلن عن استعداده "لتقديم القهوة إلى سلمان رشدي" إذا التقى به!

في الحقيقة الجميع يمارس الغش والخديعة، لأن الحوار يدور في فرنسا، أما الرهان فهو خارجها. إنهم يحاولون التوجه من فوق رأس الفرنسيين إلى جمهور آخر يوجد في ايران والعربية السعودية وتونس الخ. إن قرار جوسبان وزير التربية (بالسماح بالحجاب في النتيجة الاخيرة) تم تقديمه من قبل الاصوليين كنصر لهم، وبالمقابل، فهم يعطون كل التنازلات اللفظية.

ن.ا.: وماذا يقول القرآن بالضبط في مسألة الحجاب؟

مناع: ترد كلمة الحجاب في القرآن سبع مرات، مرة واحدة منها تتعلق بالنساء، وبتحديد أكثر، نساء النبي، حيث يطلب إلى المسلمين التحدث إليهن من وراء حجاب (الاحزاب ٥٣) أما الآية التي يسميها الاصوليون بآية الحجاب فهي: "ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلبابهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً " (الاحزاب ٥٩) لننظر الى ترجمة صلاح الدين الشريد يقول بأنه يطلب الى النساء وضع حجاب على وجههن حتى لايعرفن من باقي النساء، ويضيف في الحاشية: "هذه الآية لاتترك أي مجال للشك في واجب كل امرأة مسلمة في ارتداء الحجاب"؟؟ قمة الدجل.

ن.ا: هذا لايلغي أن القرآن يعتبر النساء "أدنى" من الرجال، قاصرات مدى الحياة، وعليهن واجب الطاعة لازواجهم والرضوخ لارادتهم وللرجال تأديبهن "بالضرب".

مناع: هذا لاشك فيه نصاً، الآية ٣٤ من سورة النساء التي تشير إليها تبدأ بالاقرار: "الرجال قوامون على النساء" وتقدم سببين لهذه "القوامة". الأول مبدئي: هذا ما أراده الله والثاني لكون الرجال ينفقون على النساء. لقد تعلمت منذ سن مبكرة أن الامر ليس كذلك دائماً. ففي الخامسة عشرة من العمر اعتقل والدي، وكانت والدتي بمرتبها تنفق على والدي واطفالها الستة. وبفضل مرتبها تعلمنا وعشنا.

في الحقيقة، فإن المسلمين في فرنسا وخارجها يواجهون معضلة فعلية لايمكن أن تبقى إلى الأبد موضوع تملص وتهرب. إذا طبقوا التعاليم الظرفية للقرآن بشكل حرفي وكامل (كما يطلب الاصوليون) فلم يتوقفون في منتصف الطريق؟ بما أن القرآن لايحدد عدد ملك اليمين الذي يحق للرجل اقتناؤه من عبيد واسرى حرب، فلنعد إلى عصر العبودية ولنعلن الحرب شرقا وغربا لنملأ بيوت الرجال بالحريم!

ن. ا: لدينا انطباع بأن الذين يتصدون لمحاولة التوفيق بين الاسلام والحداثة يخوضون معركة خاسرة مسبقاً...

مناع: النضال من أجل تحرير النساء المسلمات لم يبدأ في كري! وإنما منذ عهد النبي. إن النساء لم يقبلن النصوص التي تفاوت بين الجنسين بوصفها كلاماً مقدساً. إحدى هذه النساء استوجبت النبي بالقول: يانبي الله للذكر مثل حظ الاثنتين وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا؟ إذا عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة؟؟

ولاننسى تعليق عائشة الجرىء على الآية (٤٣) من سورة الاحزاب التي تعطي النبي الحق في الزواج بمن شاء حيث ردت: أرى ربك يسارع لك في هواك.

الجاحظ، أكبر ادباء القرن التاسع قال مبكراً في مسألة قوامة الرجل: "لسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين ولكنا رأينا أناساً يزرون عليهن أشد الزراية ويحقرونهن أشد الاحتقار ويبخسوهن أكثر حقوقهن". وفي عهد أقرب الينا نشر قاسم أمين عام ١٨٩٩ كتابه "تحرير المرأة" الذي يطالب فيه بنزع الحجاب والاختلاط بين الجنسين. سلامة موسى كتب في ١٩١٠ هذه الاسطر حول الحجاب: "لم تنكب أمة في العالم بمثل مانكبنا به من حجاب المرأة.. لقد نزل الحجاب بالمرأة من مستوى الانسان إلى حضيض الحيوان.. والحق أننا نعيش الآن في العالم وكأننا في محجر بمثابة المجذومين لايمسهم أحد". وفي ١٩١٩، دائما في مصر، خاضت النساء بقيادة هدى شعراوي معركة التحرر انتصاراً لقضايا المرأة ونزعن الحجاب في خضم الحركة الشعبية.

ن.ا: في الغرب أيضاً لم تحصل المرأة على حقوقها في ليلة وضحاها..

مناع: هذا صحيح. ولكن في بلادنا، يلعب الاصوليون على المخمل. إن

غياب الديمقراطية يسهل لهم مهمتهم، وكما يقول جاك بيرك: "إزرعوا استبداداً تحصدوا أصولية".

ن.ا: هل من المتصور أن يكون المجتمع الاسلامي علمانياً؟ أليس هناك تعارض راديكالي بين العلمانية والاسلام؟

مناع: في ١٩٢٥، نشر الشيخ علي عبدالرازق كتابا صغيراً غاية في الاهمية عنوانه "الاسلام وأصول الحكم" معتمداً بشكل اساسي على القرآن والمعطيات التاريخية يقول: " ليس بنا حاجة إلى تلك الخلافة ولم تزل نكبة على الاسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد، وربما بسطنا لك ذلك بعد، أما الآن فحسبنا أن نكشف عن الواقع المحسوس لتؤمن بأن ديننا غني عن تلك الخلافة الفقهية ودنيانا كذلك".

ولكن التنويه ضروري، فالسؤال ليس فقط مسألة عقائدية، إنها قضية ارادة وعمل، ولااستطيع إلا أن اوجه السؤال: أين هم المسلمون الذين يمتلكون جرأة الشيخ علي عبد الرازق.

ن.ا: في فرنسا بامكان المسلمين التعبير عن رأيهم...

مناع: يبدو بأن الامور تتحرك هنا. امام جامع باريس يعلن تبنيه لمبادىء العلمانية، الأمر الذي عليه يصعب قوله في طهران أو الرياض، ونرى مسلمات يتزوجن من مسيحيين ويهود وملحدين. ولكنني اقل تفاؤلاً بشإن الجالية الاسلامية، التي بوصفها كذلك، ليست بمنأى عن الاحتواءات الخارجية.

ن.ا: قضية كري بعد قضية رشدي هل ترى صلة بين الاثنتين؟

مناع: في قضية رشدي وقع معظم المسلمين في فخ الخميني والاصوليين، أما في مسألة الحجاب فالامر يختلف، كونه يمسهم من قرب لذا فهم يعدون للعشرة قبل الانجراف: معظمهم ضد مسألة الحجاب ومن يؤيد منهم الحجاب، غالبا مايرفضه لبناته! بالنسبة لي هذا تطور في الاتجاه السليم. لقد اكتشفنا وجود مسلمين علمانيين وقدمت كري في هذا المجال خدمة لنا.

ن.ا: شخصياً، هل أنت مع المنع أو السماح بالحجاب في المدرسة؟

مناع: أنا ضد اية علامة دينية في المدرسة العلمانية.

فهرست

- كلمة

الفصل الاول: الحجاب: وجهات نظر

- الحرية في المساواة هيثم مناع ٧
- التاريخ الاجتماعي للحجاب منصور فهمي ١٥
- نظرة سوسيولوجية لمشكلة الحجاب بانو پارسي ٣١
- الحجاب والجنس والهوية أمينة عيوش ٤٣

الفصل الثاني: لقطات تاريخية سافرة

- وبالأمس منعوا مدارس البنات محمد مهدي الجواهري ٥١
- علّة الحجاب نظيرة زين الدين ٥٨
- وحق التصويت أيضاً! غادة السمان ٦٦

الفصل الثالث: قضية الحجاب في فرنسا

- قراءة في وقائع الحدث ڤيوليت داغر ٧٠

وثائق:

١- المنع مسموح به محمد حربي ٧٦
٢- الحجاب الاسلامي: القانون القرآني ماهناز ماتين ٧٨
٣- مقابلة هيثم منّاع ٨١

يصدر قريبا

يصدر قريبا

- كتابات فاضل عباس هادي
- مجال العربية وجمالها قادر بو بكري
- أحاسيس في أزمان مختلفة ابراهيم زاير
- الجنس عند العرب -3 - نصوص مختارة
- الكلمات تتناكح عبد القادر الجنابي وخالد المعالي
- تكلّم أنت، أيضا باول تسيلان
- العنصر شعر غسان صرصور
- خمسون قصيدة سوريالية
- عورة الملائكة رواية سمير نقاش
- حوار بين كاهن ومحتضر ماركيز دو ساد

عن منشورات الجمل

عن منشورات الجمل

عبد القادر الجنابي والضالعون

1- السوريالية، معارك من أجل الرغبة الاباحية

ليست السوريالية تقنية فنية أو شعرية أو ثورية حتى نستبدُ لها بتقنية اخرى. السوريالية هي نزوع حياتي بريء من اللف والدوران في ابراج الشهرة العاجية -المكسورة سلفاً-، نزوع يشترط وجوده مجابهة متجددة مع كل مايتجدد من أشكال قمع. ذلك، مثلما نولد حتى نواصل حقيقتنا البشرية بتحقيق آمال الماضي عبر اكتشاف ما فات على من سبقونا من امكانيات تحرر وعيش رغيد، السوريالية هي، أيضاً، معطى ما كان يجب أن يتحقق-يَتحرّر، وبالتالي، ما يجب أن يتغيّر فيسمح هذا المعطى لاشكال حياتية جديدة اكثر ارتقاء أن تولد وعندها تكون فرصة جديدة لهذا المعطى (السوريالية) أن يتوسع في مطاليبه غرض اكتشاف مناطق ابداع أخر دون ان يتنصل من حقيقته كمشروع حياتي.

لكن نحن، هنا، لانصر على انبعاث أي جموح سوريالي في حقبة العالم العربية، سوى جموح التصدي، دون كلل، للقيم العربية الناخرة والمنخورة، قيم عادت عين ماتستهدف كل حياة حرّة إزاحته. والابداع السوريالي العالمي هو التصدي عينه.

من حضن هذا المعنى، نطلع الى القاريء العربي بهذا المنتخب من نصوص (سبق وان قمنا بنشرها في مجلة "الرغبة الاباحية" وتفرعاتها) غرضها توضيح، للمرة الألف، حقيقة مارمينا اليه ولانزال، عسى هذا القاريء المُجهَّل بكل ما يجري حواليه، أن يتمكن من كسر جدار الظلامية الدينية والسياسية، وبالتالي فضح أعلام المؤسسة الفكرية الذين لولا هذا الخراب العربي السحنة (يطيب لبعضهم أن يسميه بـ"الخراب الجميل") لما استحقوا حتى تكشيرة الاحتقار هذه التي نمررها إليهم عبر هذا الكتاب الشاتم، وهو الجزء الأول من "ثلاثية الإبطال" التام للشفرة الثقافية السائدة.

يصدر قريبا عن منشورات الجمل

«الشارع يحترق تحت أشعة الشمس، أشعر بالاختناق من شدة الحر داخل هذا الهندام الطويل القاتم، ينتابني احساس بعدم القدرة على التنفس. أثناء سيرنا على الرصيف، استوقفتنا فجأة دورية صفراء. إثنان من حراس الثورة وأختان إسلاميتان نزلوا من السيارة، نظرت لأعرف اتجاههم عندما فهمت على الفور بانهم يقصدوننا. إعتراني الاضطراب. قلقة ومضطربة، نظرت الى صديقتي فكانت شاحبة. وصلت الدورية إلى محاذاتنا وكانت نظرات أفرادها الغليظة والثقيلة تنهال عليّ. لاسمع صوتا بارداً: "حجابك غير لائق و..." لم أسمع الباقي، مرهقة تحت وطأة النظرات التي تفتش في وجهي، يد تمرر بحركة سريعة وجافة منديلاً على شفتي. بقعة حمراء تتكون على المنديل الأبيض كقطرة الدم. ينظرون اليه وكأنهم وجدوا آثار جريمة. أرى وجه صديقتي المنقبض. مسحوقة... شعرت بالعار يجتاحني. دفعونا نحو السيارة، احتجت صديقتي واحتج المارة، أشعر بالعار لكوني امرأة، أشعر بالعار من النظرات التي تتبعنا بعطف... ماذا عليّ أن أعمل؟ توقيع ورقة تلزمني بعدم معاودة الفساد الجنسي؟ مقاساة سياط الجلاد؟ دفع غرامة؟ لم يعد بامكاني متابعة أفكاري. العار يتلبسني.»

منشورات الجمل 1990